الإسلامية العالمية
للدعــوة

القضاء والقدر بين الابتلاء والعقاب

معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ومكانة العلماء

الداعية والمفكر الإسلامي
إبراهيــم الأبيــض

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: القضاء والقدر ، معجزات الأنبياء

إعـــــــداد: إبراهيم الأبيض

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى ٢٠١٣



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين.. صَلِ اللهم وسلم وبارك على هذا النبي الأمين، وعلى آله وصحابته الغُر الميامين.. وبعد:

فما أمس القلوب إلى جلاء، فإن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها ذكر الله، وتلاوة القرآن قال تعالى:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [الرعد: ٢٨].

اعلم أيها العاقل الأديب أن ليست السعادة في الانتشاء باحتساء الكؤوس المترعة أو الاستماع بالغيد الأماليد، إنما السعادة تتمركز عناصرها في مملكة أقامها الإسلام في قوله تعالى:{هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ } [المائدة: ١١٩].

كم من مدنيات ناطحت الجوزاء وزاحمت الشمس في الجلاء، ولكنها قامت على ركام النفوس فلم تعبأ ببنائها، وقامت على أنقاض القلوب فلم ترع تشييدها.

قد يكون من السهل أن نشيد ناطحات السحاب، ونصنع الطائرات التي تركب متن الهواء ونبني الغواصات التي تمخر عباب الماء. نقيم البوارج وحاملات الجنود التي تقطع كبد الصحراء ولكن ليس

من السهل أن نبني النفوس، فبناء النفوس إنما يتجلى في رسالات السماء.

ومن أجل بناء النفوس يسعدني ويثلج صدري أن أقدم هذه السلسلة المتصلة من الأبحاث العلمية الإسلامية تحت عنوان (الإسلامية العالمية للدعوة) والتي اشتملت على:

أولاً: القضاء والقدر بين الابتلاء والعقاب.

ثانيًا: معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء ومكانة العلماء.

فإن أحسنت فمن الله وحده، وإن أسأت فمن نفسي ولا أدعى لنفسي الكمال، فإن الكمال لله وحده والعصمة لرسوله ﷺ.

ومهما حاولت فما أنا إلا كشعاع متسلل من حنايا النافذة ومهما حاولت المسير فلن أصل إلى شاطئ البحر الذي عبروه إلا كما يقول القائل:

كالبحر تمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه.

{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾} [فصلت: ٣٣].

والله أسأل أن يجعلنا ممن يتفيؤون ظلال هذه الآية الوارف الظليل.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

الراجي عفو ربه

إبراهيم الأبيض/ المحامي

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

الشيـخ / مصطفي السيد العايش

الحمد لله عفا فقدر، وعلا فقهر، الوجود ملكه، والقضـاء حكمتـه، والكون كله طوع إرادته، فلا تهب في هذا الوجود نسمة هواء ولا تطرف عين ولا يحدث حدث صغير أو كبير إلا بإذن من يعلم السر وأخفى. أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فجاء بكتـاب كالشمس في ضحاها، وسنة كالقمر إذا تلاها، فمن تتبعها عـاش فـي ضـوء النهـار إذا جلاهـا، ومـن أعـرض عنهمـا تخـبط فـي ظلمـة الليـل إذا يغشـاها. وبعد:

فإن تزكية النفس، إنما تكون بـورود المنهل العذب والروحانيـات الصافية التي تداوى الجراح الدامية، وفي كتاب الله وسـنة رسـوله ﷺ ما يجعل النفس تشع ضياءً وبهاءً وتتـألق جمـالاً وكمـالاً.. وبـين يـديك عزيزى القارئ.. القضاء والقدر بين الابتلاء والعقـاب.. ومعجـزات الأنبياء وكرامات الأولياء ومكانة العلماء.

ستجد نفسك بين دفتي هذا كله كالبلبل الغريـد يتنقل مـن فـن إلـى فـن، ويصـدح من غصـن إلـى غصـن، فبين أكاليل السـرور وتيجـان النور وباقات العطور وكنوز الدر المنثور، وهالات الهدى والحبور..

فمن هذه الهالات تفجرت ينابيع العلم، إنها مدرسـة تـولى ريادتهـا فضيلة الأستاذ الفاضل والمفكر الإسلامي/إبراهيم الأبيض المحـامى

فارس الكلمة الصادقة، وإنه ليشرفني ويسعدني أن أقدم لهذه الهالات العظيمة التي هي عصارة فكر، وربوة حالمة فيها الضياء، وطاب فيها الهواء، فقف عزيزي القارئ على حقائق الأسرار، واسلك مدارج الأنوار وعش في مقعد صدق عند مليك مقتدر.. وكيف لا؟ وفيها باقات العطور، وهالات النور.

والله تعالى من وراء القصد.. فهو المستعان.. وعليه التكلان.

بقلـــم
مصطفى السيد العايش
إمام أول وخطيب
مسجد السلام حالياً
والعيسوي سابقاً

* * *

مقدمة

الشيخ / أحمد الخولي

أحمد الله رب العالمين وأصلى وأسلم على إمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وبعد:

فالدعوة إلى الله تعالى من أشرف الأعمال لأنها عمل الأنبياء والمرسلين وإبلاغ الدعوة بأي كيفية بإخلاص الوجه لله ينال صاحبها خير الجزاء عند الله تعالى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والكتاب الذي بين أيدينا صورة طيبة من صور الدعوة إلى الله بما حواه من فضائل شملت الحديث عن القضاء والقدر ومعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وهذا الكتاب نموذج طيب وخاصة فيما تناوله بناء الأضرحة في داخل المساجد وحرمة بناء الأضرحة في داخل المساجد وحرمة الصلاة فيها على التفصيل الذي ذكره المؤلف.

وجزى الله المؤلف خير الجزاء وجعل عمله خالصاً لوجهه الكريم ونفع به الإسلام والمسلمين فهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل.

أحمد الخولي

إمام وخطيب مسجد

الجلاء بالمنصورة

* * *

تمهيـــد

ما شاء الله كان.. وما لم يشأ لم يكن.. وما شاء يكون.. وما تشاؤون إلا أن يشاء الله.. فما كان لهذا الكتاب أن يخرج إلى النور لولا إرادة الله الحي القيوم.. وما أعددنا له قبل الظهور.. ولكنه بناء على طلب أحد الموحدين.. ولا نزكى على الله نفسا إنه هو السميع العليم..

فإن الإسلام هو السلام بالاستسلام لله وحده وليس لغيره.. فأنت أيها الإنسان تعبد الله ولا تشرك به شيئا.. وتتوكل عليه دون غيره.. تطلب رضاه وتخاف شدته.. وتحبه مخلصا له الدين ولو كره الكافرون.. لا يعلو فوق حبه حب الأباء والأولاد والأزواج أو حتى يساوونه في ذلك الحب.. تبغض من يخالف الله.. وتوالى من يحب الله.. وتعادى من يعادى الله.. وتدعو الناس إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وتجادلهم بالتي هي أحسن.. ومن استكبر على عبادة الله فلا يكون مسلما... ومن عبد مع الله إلها آخر أشرك بالله شركا أكبر.. فالطاعة لله ولرسوله ﷺ{مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ} [النساء: ٨٠].

فكل الأنبياء كانوا مسلمين لله، وكل رسول بعث بشريعته للعمل بها في وقتها وزمانها، حتى إذا ما نزلت رسالة جديدة من عند الله نسخت الشريعة السابقة وتم العمل بالرسالة الجديدة وهكذا كان أمر الله ومراده، ومن ينكر ذلك أو يجحده كان كافرا، وجاء دين الإسلام

بالشريعة الإسلامية على رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ.. يقول عبد الله بن رباح الأنصاري عن عبد الله بن عمرو أنه قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يوما فسمع صوت رجلين اختلفا في آيه فخرج علينا ﷺ يعرف في وجهه الغضب فقال:﴿إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب﴾.

أيها الإخوة الأفاضل وأيتها الأخوات الفضليات.. لجأت إليكم بهذا الكتاب بتوجيه من الله عز وجل، ولا كبر ولا فخر ولا تعاظم، وإنما أنا العبد الضعيف والفقير إلى الله أطلب منه العون والمغفرة.. فجاء هذا الكتاب خشية منى على نفسي وأهلي وعشيرتي، وخوفي على أمة محمد ﷺ.. وجاء تحذيرا وتذكيرا لمن لا يؤمن بالله وحده لا شريك له في الملك، لا زوجة له ولا ولد له ولا ند له ولا ضد له، واحد أحد فرد صمد، وأن محمداً عبده ونبيه ورسوله.. فالدنيا ملذاتها ثلاث: حسية، ووهمية، وعقلية.. حسية: تدفع الألم، وهمية: خيالات وأضغاث.. واللذة الحقيقية هي العلم بتدبر العقل والتفكر والوصول إلى الهدف وتحقيق النتيجة، فليخرج البشر جميعا من هذه الدنيا على بر الأمان ورضاء الرحمن.. وحذار من أعداء السنة وهم: الخوارج الذين يتبعون القرآن فقط دون السنة.. والروافض مدعون الحديث الكذب والضعيف ويستندون عليه.. والجهمية والمعتزلة وهم الذين يختارون آيات من القرآن على هواهم ويفصلونها على ما يدعون به.. وأما الرسول عليه الصلاة والسلام فقد حارب وقاتل كل من أراد هدم هذا الدين الحنيف ومن بعده أبو بكر الصديق في حروب الردة

فقاتلا مدعى النبوة: الأسود العنسي باليمن الذي استولى عليها كلها، ومسيلمة الكذاب، والحارث الدمشقي، ومكحول الحلبي، وبابا الرومي، والمرأة المشعوذة.. فتفضل الله علينا في الباب الأول من هذا الكتاب وأتانا بعلم " القضاء والقدر.. بين الابتلاء والعقاب ".. ثم في الثاني " معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ومكانة العلماء ".. فتعالوا بنا نسبح في نور الله ونعلم كبارنا وصغارنا وأزواجنا وأولادنا، وأبائنا وأمهاتنا، أقاربنا وجيراننا، حتى ندخل في رحمة الله وفضله كما أخبرنا في كتابه العزيز في سورة غافر حيث قال:{ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ؟؟؟العرش وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ
(٧) رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٨)} [غافر: ٧ - ٨].
وحتى تلتقي الأسرة والعائلة جميعا في جنة عدن دون فرقة، فعليهم بالحرص على اتباع هذا الدين الإسلامي الحنيف، والتمسك بالولاء والبراء، أي بتعليمات الشريعة الإسلامية الغراء، أوامر ونواهي وكفى..

فاقرأ معي.. واسمع معي هذه الكلمات.. فقد تجدها في صورتي أو صورتك أو صورة الآخرين أو صورة الأحباب:

بصرت في عباءة كل امرئ..

فوقعت عيناي على المعايب

لم يخلو المكان فيها من رقعة..

التصقت بثياب الأعداء والحبايب..

فنظرت إلى نفسي خشية وتقوى..

فوجدت فيها بعض العجايب..

وشاهدت في مرآة الصدق الحقيقي..

نور الدعوة لرب المشارق والمغارب..

فشمرت عن ساعدي وقد تأهلت..

وقلت بلسان المسلم المحارب..

وعز على اهتزاز المسلمين..

فأنذرتهم.. وفضحت بعض الأجانب..

الضمير غائب عنا أيها الإنسان..

إلا من خشي الرحمن وتفادى المصائب..

لا تقل لي: القانون وصراع الحياة..

ففيهما الثغرات، والشيطان يلاعب..

فاعشق الدنيا بالقرآن والسنة..

تنجو من سوء المصير الغائب..

وأعلم بأن الجنة نعيمها أبدى..

أعدها الله للمؤمن والتائب..

فاهنأ بها أيها التقى.

فأهل النار جمر وشوائب..

فالفرار إلى ربك تائبا..

وكن أسرع من النجم الثاقب..

هذه نصيحتى.. فإن تكبرت ورفضتها..

ستدور عليك سوء العواقب..

- كلمة الصدق والشفافية
- وكلمة الحق الإلهية..
- وكلمة الهداية الإسلامية..

إلى كل البشر على سطح الكرة الأرضية.. إلى جميع المسلمين في الدول العربية والإسلامية وأفريقيا وأوروبا وأمريكا.. إلى أصحاب العقول الذكية في العالم، التي لانت قلوبهم ورقرق الدمع في عيونهم حال سماعهم آيات من القرآن الكريم، فلم يتكبروا على الخالق وخروا سجدا طواعية.. لا إكراه في الدين، وإنما النفس المرضية، بعد العرض والبلاغ من رب البرية.. قد تبين الرشد من الغى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. فالإسلام آخر الديانات السماوية.. ورسالة أنزلها رب العزة تبارك وتعالى مع الأمين جبريل إلى محمد بن عبد الله نبي الرحمة ورسول السلام والإنسانية..

فاللحاق بالإسلام واجب سماوي والإعراض عنه حرية شخصية.. ويوم تقوم الساعة يحاسب المرء عما اقترفه اعتراضا للأوامر والنواهي الإلهية.. اختار الله واصطفى واجتبى محمد بن عبد الله ﷺوبعثه رسولا للإسلام، فأتاه الله النور ليمحو به الظلام.. وأتاه الله العدل ليمحو به الظلم والطغيان.. وأتاه الله العلم ليمحو به الجهل.. وأتاه الله الحق ليطهر به البيت الحرام من الأصنام وعبادة الأوثان والشرك.. وأتاه الله السلام بقوة الإيمان.. وأتاه الله الجهاد لدحض كل نفس كفارة عنيدة، فقاتل ومن بعده أبو بكر مدعى النبوة مسيلمة الكذاب والأسود العنسي باليمن والحارث الدمشقي ومكحول الحلبي وبابا الرومى والمرأة المشعوذة.. جاء رسول الله بالقرآن ليعلم البشر بأن الإسلام دين الله الواحد وأما الشرائع فهي مختلفة من عند الله.. جاء بالقرآن ليفضح كذب التثليث ونسب البنوة إلى الله، ودعا إلى التوحيد.. فعلى الناس أن يتجهوا إلى قبلتهم، وهى الشريعة الإسلامية وسنة المصطفى المحمدية، تأخذهم إلى مسار الهدى المؤدى إلى النورانية.. وقبلة المسلمين هي التوحيد، يتجهون إليها عند أداء كل فريضة صلاة.. ركوع وسجود.. تعظيم وتسبيح.. تمجيد للذات العلية.. الحمد والشكر على المعطاءات الربانية.. فبالصلاة إزاحة الهموم وجلب الراحة النفسية.. ويقول الحبيب المحبوب والصادق المصدوق عاشق الإسلام ومن المسلمين معشوق:﴿**ستنقسم أمتي إلى ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار، ليس منها إلا فرقة واحدة هي أمة محمد الحقيقية**﴾..

ومعنى الحديث أن أمة الإسلام الحقيقية هي التي تتمسك بالقرآن والسنة من بعد وفاة النبي ﷺ وحتى تقوم الساعة، وأن علامة هذه الأمة أو الفرقة العمل بتقوى الله و الخشية منه، ومصونة بالأخلاق الكريمة.. فليس الإسلام بالوراثة أو بالتمني أو بالقيد بالبطاقة.. وإنما الإسلام يكون بالالتزام.. فآه.. وألف آه على ضياع الأحبة من المسلمين.. لقد تاهوا في الدنيا وأخطؤوا وحسبوا أنهم يحسنون صنعا.. غشوا الناس بمظهرهم وصورهم.. خدعوا الناس وقد خدعوا أنفسهم بالكذب، والكذب سبب كل مصيبة.. وقال النبي ﷺ حين سأله أحد الصحابة وقال له: يا رسول الله، أيكون المؤمن جبانا؟ قال:﴿بلى﴾. قال: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال:﴿بلى﴾. قال: أيكون المؤمن كذابا؟ قال:﴿لا﴾. فالكذب آفة تؤدى إلى الهلاك وتدخل صاحبها النار.. هؤلاء القوم ليسوا من أمة محمد الحقيقية.. فقد زيفوا وزوروا الحقائق، ونسوا الرقيب السميع العليم.. لقد نسوه... فقال لهم الرحمن في حديثه القدسي:﴿**يا عبادي إن كنتم في شك بأني لا أراكم فالخلل في إيمانكم، وإن كنتم تؤمنون بأني أراكم فلما جعلتموني أهون الناظرين إليكم**﴾..

هذه كلمة للبشر جميعا دون تصنيف أو توصيف، أو تحديد أو تخصيص..

هذه كلمتي للبشر جميعا فالهدى والنور من الإسلام العالمية تدعوكم.. فهلموا وانهلوا من هذا العلم الرباني، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. فيبدل الله الذل قوة.. والهزيمة نصراً..

فتعالوا بنا ننتصر على أنفسنا، وننتصر على أعداء ديننا، ونحرر القدس والأقصى بأمر وقوة ربنا..

المؤلف

* * *

القضاء والقدر بين
الابتلاء والعقاب

الإسلاميــة العالميــة
للدعـــوة

القضاء والقدر.. بين الابتلاء والعقاب

الحمد لله... نحمده ونشكره... ونتوب إليه ونستغفره.. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. من يهده الله فهو المهتد ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها.. يهدى الله من يشاء من عباده ويضل من يشاء وهو على كل شيء قدير.. هو الله الواحد الأحد.. الفرد الصمد.. لا شريك له في الحكم.. ولا زوجة له.. ولا ولد له.. فلا الملائكة بناته... ولا عزير ابن الله.. ولا عيسى ابن الله.. ولا مريم أم الإله.. ولا ندّله ولا ضِّد له.. فالخلق خلقه والعبيد عباده.. والحكم حكمه.. والأمر أمره.. والنهى نهيه.. والطاعة له واجبه.. وإنا لله وإن إليه راجعون.. هو الله.. شهدت السماء بقدرته وشهدت الأرض بعظمته.. وشهد البحر بسريره.. وشهدت الشمس والقمر والنجوم بفضل نوره.. وشهد الهواء بقبضته.. وشهد الماء بسر الحياة.. وشهدت الروح بأمره.. وشهدت الرياح بسلطانه.. وشهدت البراكين والزلازل بهيبته.. وشهد الرعد بخيفته والملائكة بتسبيحه.. وشهد النهار بعطائه.. وشهد الليل بسكنه وصفائه.. وشهدت الأرزاق بكفالته:{وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾} [الذاريات: ٢٢ - ٢٣] وشهد سجن يوسف ببراءته.. وحوت يونس بطاعته.. ودعاء يونس في بطن حوته بتوبته وإنابته.. ونار إبراهيم بسلامته.. وصبر أيوب على بلائه.. وشهدت الكائنات في أعماق البحار بأنه الخالق المبدع المصور.. وشهدت النملة وهدهد سليمان بقدرته ومعجزاته..

وشهدت الاختراعات بعلمه..

{ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ (٣٣) } [الرحمن: ٣٣].

والسلطان هو العلم والأمر من عند الله فشهد محمد بن عبد الله ﷺ بمعجزة القرآن، وأن الله هو الواحد الأحد الديان الذي لا يعبد سواه.. فسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإن إليه راجعون..

أيها الناس.. أيها البشر جميعا على وجه البسيطة من أقصاها إلى أقصاها.. إنس وجن.. نحن نتحدث سويا في موضوع هام وخطير من الناحية الدينية، وهذا الموضوع يتعلق بقضية إيمانية خاصة بالركن السادس من أركان الإيمان ألا وهو القضاء والقدر، وسوف نتعرض له إجمالا وتفصيلا بفضل من الله وتوفيقه واستنادًا على ما جاء به القرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة وفقه الأساتذة العلماء الكبار اللذين منَّ الله عليهم بعلمه وأمدهم بمراده بما قدر عليهم، ونلتمس من الله العون أيضا في أن يمنحنا الهداية إلى ما نصبوا إليه، ويلهمنا بعلمه تبيانًا للناس، إنه على كل شيء قدير، فهو نعم المولى ونعم النصير.

(تعريف القضاء والقدر):

القضاء والقدر هو حكم إلهي نهائي غير قابل للإستئناف إلا في يوم القيامة حيث تأخذ الشفاعة مكانتها، وهى للرسول عليه الصلاة والسلام في الشفاعة الكبرى بتعجيل الحساب للناس كافه، والشفاعة

الصغرى لأمة محمد خاصة وذلك بإخراجهم من النار وإدخالهم الجنة وبقية شفاعاته الأخرى.. ثم شفاعة الأنبياء والأولياء والشهداء والملائكة والقرآن والصيام.. إلخ.

والقضاء والقدر هو الحكم في أمر أراده الله فيأمر به بوقوع مصائب وابتلاءات وامتحانات واختبارات على من يشاء من عباده وباقي خلقه لأسباب هو يعلمها ونحن لا نعلمها، حتى وإن علمنا بها فلا يغنى حذر من وقوع القدر... وهذا الحكم يصدر من جانب واحد أحادي، فيتخذه الله عز وجل وحده وليس للإنسان خيار في تنفيذه، إلا أن هذا الإنسان المبتلى قد يكون له دخل في هذا القضاء بطريق غير مباشر بدون قصد، ولا يتمنى أن يفعل أو يشترك في حدوث الواقعة، ولا يتمنى نتائجه.. هذا شق... والشق الآخر هو أن يكون لهذا الإنسان المبتلى والذي وقع عليه حكم القضاء والقدر دخل فيه أو كان سببا في وقوعه بطريق مباشر وعن قصد عمد مع بيان النية في إتيان الحدث فيقع عليه البلاء الذي قدره الله عز وجل عليه... وفي كلتا الحالتين فإن القضاء والقدر يقع بأمر من الله عز وجل ولن يرد ذلك القضاء إلا الدعاء أو الشفاعة للرسول عليه الصلاة والسلام أو شفاعة القرآن أو الصيام يوم الحساب، فالبلاء يكون نازلاً من السماء والدعاء يكون صاعدًا للسماء فيصطدمان ويتعلقا بالسماء حتى تقوم الساعة.. وبناء على ما تقدم فإن أمر الله عز وجل بقضاء فلا مرد لقضائه وحكمه، وإذا قضى شيئا فإنه لا يرجع عنه أو يسحبه إلا في الحالات التي أشرنا إليها سلفا.. فلا يستطيع أحد أن يتعرض لمنع

تنفيذ القضاء أو يخفف من شدته سواء أكان نبيًا مرسلاً أو ملكًا مقربًا أو جان معاند، وإنما بالدعاء وحده هو الذي يرد ذلك القضاء أو يخفف من شدته.

" اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه ".. فالرد أو التخفيف يأتي بسبب الدعاء ولعلم الله المسبق الذي كتبه القلم في أم الكتاب وهو الكتاب الأزلي بأنه سوف يقع القضاء فيتعرض له الدعاء بالاستغاثة والرجاء بطلب الرحمة من رب العالمين ورب الأرض والسماء، فيستجيب الله لذلك الدعاء في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فلا يوجد سوى الشفاعة.. وعلى وجه العموم وفي كافة أحوال وظروف القضاء والقدر فإنه رحمة من الله ومنّة على عبده المبتلى حتى يحصل على الأجر والثواب حتى يتخطى ذنوبه وترتفع درجاته فينجو من النار، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن الموحد، فيؤمن بالقضاء والقدر والرضا عنه.. ويقول الحق في كتابه الحق عن ذلك:{وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦} [البقرة: ٢١٦]، {فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا} [النساء: ١٩].

والقضاء هو حكم إلهي، وتفصيل حيثياته تكون في القدر؛ بمن يختص به هذا القضاء؟ ولماذا هذا القضاء؟ وأين يكون؟ ومتى يقع؟ وما هى نتائجه؟ وما هي آثاره على من وقع عليه القضاء والقدر؟ ومتى يخفف الله البلاء؟ وما هو قيمة الأجر والثواب للمبتلى؟

والقضاء والقدر سنه قدرية كونية إلهية يراد بها التذكرة بوحدانية الله وقدرته في العطاء والمنع، وقدرته بالعقاب والابتلاء؟ وقبوله بالدعاء بكشف الغمة والحزن بإزاحة البلاء أو التخفيف وذلك حتى يزداد المؤمن إيمانا بالله، وما يخشى الناس عذابه... فالقضاء والقدر آية من آيات الله حتى نتعلق برحمته ونقول؛ يا رب استرها... يا رب خفف... يا رب لطفك.

وينقسم القضاء والقدر إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: هو أن يكون القضاء والقدر " عقابا " لا يقابله أجر أو ثواب، وهذا العقاب يكون للكفار والمشركين والمعاندين المكابرين، والذي بعلمه المسبق أنهم لن يهتدوا ولن يؤمنوا ويبذرون في الأرض فسادا، مثال ذلك أخذ الله قوم عاد وثمود وهود ومدين بالصيحة، وقوم نوح بالغرق، وقوم لوط بإلقاء حجارة من سجيل عليهم، وقارون خسف به وبداره الأرض، وفرعون وهامان بالغرق، وقال رب العزة تبارك وتعالى في كتابه العزيز عن ذلك.

{ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾} [العنكبوت: ٣٩ - ٤٠].

ويقول:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾} [آل عمران: ١٠ - ١١].

وأما الأمر الثاني: أن يكون القضاء والقدر " ابتلاء " ليكفر الله عن عباده الذنوب والمعاصي، ويطهرهم من الجرم والآثام، فيرفع بذلك درجاتهم عنده، ولا يتأتى ذلك إلا للمؤمن المسلم دون غيره، ويكون لغير المؤمن المسلم عقاب وليس له أجر أو ثواب عند الله إلا من رحم ربى... والابتلاء إما أن يكون مسحًا للذنوب والمعاصي والسيئات وإما أن يكون اختبارا وامتحانا.. ويقول المصطفى ﷺ في حديث قدسي ومعناه من عند رب العالمين:《... **أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب...**》 وكان أول ابتلاء وقع من السماء كان على آدم وحواء بطردهم من الجنة لعصيانهما أمر الله عز وجل واتباعهما للشيطان، فأكلا تفاحة الشجرة التي حرمها الله عليهما.

وقال رب العزة تبارك وتعالى في كتابه العزيز عن ذلك:{ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾} [البقرة: ٣٥ - ٣٦].

ومعنى اهبطوا الجمع أكثر من اثنين؛... آدم وحواء وإبليس هبطوا إلى الأرض فيحدث العداء بينهم وبين إبليس الشيطان وبين بعضهم البعض، وهذه سنة الله الكونية على الأرض، وبعد أن هبطوا تلقى آدم من ربه العفو الإلهي وأنه تاب عليه، وحذره مرة أخرى

باتباع الطاعة وعدم اتباع الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء، ثم اصطفاه فكان أول نبي أرسل كما قال الرسول ﷺ...، ويقول رب العزة تبارك وتعالى في كتابه العزيز:{ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾} [آل عمران: ٣٣].

فآدم قد نسى تحذير الله له، فهو لم يعاند الله أو يخالفه وقال عنه رب العزة في كتابه العزيز:{وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾} [طه: ١١٥]، وقال عنه في آية أخرى:{ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾} [طه: ١٢٢].

هذه إرادة الله ومراده فهو أكبر من كل عقل وفكر، فالله لم يتدخل في منع الشيطان عنهما حتى يأمرهما بالهبوط إلى الأرض التي خلقها قبل خلقهما للإعمار فيها وعبادة الله وإنجاب الذرية والحركة في الحياة الدنيا والتفكر والتدبر في قدرة الله ومعجزاته وخلقه السماوات والأرض والبحار وما تحت الثرى.. ومن ذلك يبين أن الله عز وجل عندما يريد عملا من ابن آدم لا يقدر عليه ولا يستطيع فعله إلا بالابتلاء، فيبتليه الله، فيغير مساره الذي ينتهجه والسلوك الذي يتبعه ويؤذى نفسه ويؤذى الآخرين، أو أن الله له مراد آخر يريد تعريفه لعباده فيكون بالابتلاء... وان أول امتحان من السماء كان لإبليس اللعين الذي استكبر وعصى أمر ربه ورفض السجود لآدم فطرده من رحمته إلى يوم يبعثون، ويوم القيامة يدخل النار مع الداخلين فيكون زعيمهم في النار...

فآدم عصا أمر ربه وأكل من الشجرة التي حرمها عليه ربه ولكن الشيطان وحواء تسلطا عليه، إذ قال لهما الشيطان:{هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ} [طه: ١٢٠] فسمعا كلامه بتأثير حواء فرسبا في الامتحان ولكن الله أنزل من الرحمة على آدم وكلمه فتاب وأناب واصطفاه بعد ذلك...

هبوط آدم إلى الأرض قضاء وقدر وبمراد الله ليكون خليفة له عليها:{وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠} [البقرة: ٣٠].

أما الشيطان فطرده من الجنة وهبوطه إلى الأرض إنما هو عقاب من الله له لاستكباره لأمر الله له وحقده على آدم وذريته فلم يسجد له وقال لربه: أنا خير وأفضل منه فأنت خلقته من طين وخلقتني من نار، وأصبح الشيطان وذريته أعداء لآدم وذريته إلى يوم القيامة

وقد يبتلى المؤمن الصالح دون أن يرتكب إثما أو ذنبا أو معصية، فدائما ما يتخلص المؤمن من ذنوبه وسيئاته بالدعاء والاستغفار والتوبة الخالصة والإنابة إلى الله فور وقوع المعصية فيكون الابتلاء هنا مقابل مكانة مرموقة في الجنة لا يستحقها إلا إذا دفع الثمن وهو أجر الصبر على الابتلاء:{إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب}.؟؟؟

وابتلاء أهل الذين ماتوا شهداء.. وقبض أرواح الأبناء الصغار وما فوقهم وقد رضي أهاليهم واحتسبوا وحمدوا الله فسماهم الله بأهل الحمد وبشرهم ببناء قصر لهم في الجنة يسمى بيت الحمد.. والابتلاء لا يقف عند حد الألم المادي فقط بوقوع المصيبة كالموت وفقد العزيز، والمرض المزمن، وفقد المال، وفقد المنصب والسلطان وإنما يكون الابتلاء معنويا أيضا، فالألم النفسي والعصبي والحزن الدفين دون الشكوى من الله فإنما يعد ذلك ابتلاء وينطبق عليه قضاء وقدر بالابتلاء..

ويقول المصطفى ﷺ في حديث قدسي شريف معناه من عند الله والكلام على لسان الحبيب المحبوب والصادق الصدوق عاشق الإسلام ومن المسلمين معشوق قال الله:﴿**إنما بعثت لأبتليك ويبتلى بك غيرك؛..**﴾.

والمعنى أنك يا محمد مبعوث للناس جميعا، مبلغا عنى نبيا ورسولا، فأنت ابتليت بكافة أنواع الابتلاءات والامتحانات حتى تكون قدوة وأسوة حسنة للناس بالصبر والرضا والاحتمال على مصائب الدهر والزمان، وليعلم ابن آدم بأن الابتلاء خير لصاحبه وليس غضبا عليه ويقول الله عز وجل في كتابه العزيز:{الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾} [العنكبوت: ١ - ٣]، وهذه السورة تتحدث عن القضاء والقدر والابتلاء والصبر عليه، ويقول النبي ﷺ في حديث شريف بالبخاري ومسلم:﴿**ما من مصيبة تصيب**

المسلم إلا وكانت كفارة له حتى الشوكة يشاكها﴾، ويقول رب العزة في كتابه العزيز:{وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان: ٢٠].

فإن ما يصيب الإنسان هو تطهير للذنوب وغسيل السيئات، وأن الابتلاءات والامتحانات والاختبارات هي من صنع الله عز وجل ولم تحدث صدفة أو عبثا، وإنما هي سنة كونية وقدرية إلهية، فيقول عز وجل في كتابه العزيز:{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾} [الحديد: ٢٢ - ٢٣].

فما لنا إلا أن نقول لله الحمد من قبل ومن بعد فله الأمر من قبل ومن بعد، فيكون بذلك اكتمال الإيمان بالرضا والقضاء والقدر خيره وشره.. حلوه ومره.. فالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان؛ الإيمان بالله، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب السماوية، الإيمان بالأنبياء والرسل، الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره فليس كل الخير والشر قضاء وقدر وإنما بعضها قضاء وقدر والبعض الآخر من فعل الإنسان، كقوله تعالى:{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾} [البلد: ١٠]، طريق الخير، وطريق الشر، وعليه أن يختار ما يشاء، فالإنسان مصير في أمور ومخير في أمور أخرى.

وأما الأمر الثالث: القضاء والقدر لرفع الدرجات عند الأنبياء والأولياء الصالحين، فيكون لهم الرقى والدرجة الرفيعة من الجنة، والقرب من الله بالوسيلة والفضيلة والدرجة العالية.

(أنواع القضاء والقدر):

النوع الأول:

حكم الله بالقضاء والقدر على الإنسان بدون أسباب: فينزل المولود من بطن أمه ومعه القضاء والقدر، فقد يخرج الإنسان إلى الحياة الدنيا وهو كسيح، أو كفيف، أو معوق ذهنيا، أو مشوه الخلق، أو أبكم لا يسمع ولا يتكلم، أو به عيب خلقي مزمن داخل جسده... الخ...

وهذا النوع من القضاء والقدر إنما هو آية وتذكرة من الله عز وجل لنحمده ونشكره نحن الأصحاء على ما نحن عليه من نعمة الصحة والعافية والسلامة وندعو الله لإخواننا المصابين بالصبر وقوة الإيمان بالرضا بالابتلاء وطلب الشفاء من الداء بالدعاء، ويقول المصطفى ﷺ : **﴿لا تنظر إلى ما هو أعلى منك وانظر إلى ما هو أدنى منك﴾** وكذلك فإن هذا النوع من القضاء والقدر إنما لنعلم بأن الله قادر على كل شيء، فإن صبر أهل الإعاقة وارتضوا بحكم الله عن قناعة فقد دخلوا في رحمته وكانوا من أهل الجنة بلا حساب أو عذاب أو عتاب وذلك بالنسبة للمسلم المؤمن ولا يسري ذلك على غير المسلم إلا إذا كان مبتلى بالجنون.

وإن لم يرتض بقضاء الله وقدره أهل الإعاقة والمرض وكرهوا هذا الابتلاء واشتكوا من الله إلى خلقه ولم يصبروا على ما هم فيه، ولم يحمدوا الله ويشكروه، غضب الله عليهم في الدنيا والآخرة.. واختلاف عقول البشر في التفكير واتخاذ القرار ودرجات الذكاء قضاء وقدر، وارتفاع الذكاء لدى بعض الناس وتفوقهم على غيرهم قضاء وقدر، وعلى ذلك يقتضي عليهم الصبر وتحمل المشقة على كيفية التعامل معهم، وقال رسول الله ﷺ :﴿انزلوا الناس منازلهم وخاطبوهم على قدر عقولهم﴾ فالتعامل مع الناس بالتواضع في الفكر والاحترام شيء واجب ومطلوب.

النوع الثاني: حكم الله بالقضاء والقدر على الإنسان بعد ولادته:

حكم الله يبتليه للإنسان بعد ولادته وأثناء مراحل حياته العمرية، وذلك تكفير لذنوب ارتكبها في الدنيا بعد سن البلوغ لأن الرسول ﷺ قال في حديثه الشريف في صحيح البخاري ومسلم:﴿**رفع القلم عن ثلاث؛ النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يفيق، والصبي حتى يبلغ الحلم**﴾.

أما وقوع البلاء قبل سن البلوغ فيكون آية وتذكرة وابتلاء لأهله فإن صبروا ورضوا بالقضاء والقدر رفع الله درجاتهم وحط من سيئاتهم وأدخلهم الجنة مع الابن المبتلى قبل سن البلوغ كالمعوق ذهنيا والمريض نفسيا وفاقد العقل والذاكرة إلى مثل هذه الحالات.

ومن الآثار الإيجابية التي يولدها القضاء والقدر بالابتلاء لدى المبتلى هو تغيير مساره فإذا ما ابتلى الإنسان بمرض بعد صحته، أو فقر بعد غنى، أو فراق بالموت مع من أحب، أو فقد جاه أو سلطان أو منصب بأسباب أو بدون أسباب وصبر وحمد الله وشكره ثم نظر هذا الإنسان المبتلى وبحث في صفحات كتابه عن أحواله الدينية والدنيوية فوجد بها قصور وذلك بارتكاب ذنوب ومعاصي وظلم وغرور وكبرياء وعظمة مع العجب بالنفس فيسرع بتبديل وتغير سلوكه والتخلص من هذه المساوئ إلى الأفضل دينيا ودنيويا بالتوبة النصوح والاستغفار والتقرب إلى الله بكافه الطرق الشرعية والوسائل التي أمرنا بها الله ورسوله والاستزادة في العبادات وأعمال الخير والتمسك بقضية الولاء والبراء والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر والدعاء إلى الله فيبدل الله سيئاته إلى حسنات... وكثيرا ما اعترف وزراء ومسؤولون كبار ورجال أعمال وقد ابتلوا في قضايا مختلفة ودخلوا السجن، فأخذوا يصلون لله وما كانوا يؤدون هذه الفريضة من قبل، ويقرأون القرآن الكريم ويحفظون كتب الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية وما كانوا يفعلون هذه العبادات قبل دخولهم السجن بسبب انشغالهم بالحياة الدنيا والتعلق بها والمناصب والمكاسب المادية وغفلوا عن ذكر الله الذي من أجله خلق الإنسان.

النوع الثالث: العقاب:

فالعقاب ليس تكفير ذنوب، إنما هو عقاب للكافر والمشرك بالله والملحد، والعاصي بمبارزة الله بالطعن في الرسالات السماوية، والطعن في أنبيائه ورسله.

فذلك هو العقاب من الله قضاء وقدر على قوم عاد وثمود وهود ومدين ونوح ولوط، وفرعون وهامان وقارون... إلخ.

النوع الرابع: ابتلاء:

قضاء الله وقدره لرفع الدرجات في الجنة والقرب من الله في الآخرة، ويكون رفع الدرجات بقدر الابتلاء وقسوته وشدته وعظمته، وعلى وجه الخصوص فإذا ما كان الابتلاء متعلقا بتبليغ الرسالة الإلهية من السماء لأهل الأرض، وعلى قمة هؤلاء الأنبياء والرسل، والأولياء الصالحون، والعلماء المخلصون، والدعاة الربانيون... والرسول هو الإنسان الوحيد من بنى آدم المعصوم، وقال في حقه الإمام مالك وهو يقف على قبره؛... " كل كلام بنى آدم مردود عليه إلا صاحب هذا المقام فإنه المعصوم ".

وقال المصطفى العدنان:﴿كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون﴾.

ومن ثم فإن كافة الأنبياء والرسل ابتلاهم الله كل منهم بقدر حتى يتناسب قيمة البلاء مع قدر الدرجة العالية من الجنة وكان أعظم الأنبياء والرسل ابتلاهم الله ابتلاءً هو الرسول ﷺ.

واستحق وحده دون غيره الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة في الجنة يوم القيام إن شاء الله رب العالمين.

النوع الخامس: الشهادة في سبيل الله:

قد يقع القضاء والقدر بالابتلاء لرفع الدرجات دون حساب أو عتاب أو عذاب، كالشهداء... والشهادة لها درجات وكل درجه لها ما يقابلها مكانه في الجنة، فمن مات دون ماله فهو شهيد، ومن مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون وطنه فهو شهيد، ولا يُسأل عن ذنوب ارتكبها أو معصية أدت إلى سيئة، فقد محت الشهادة هذه الذنوب والسيئات، ولا يحاسب ولا يعاتب ويدخل الجنة مع الأبرار والصالحين، والذي مات في حريق دون دخل له فيه، والغريق، والمخنوق بثاني أكسيد الكربون في مصنع أو معمل أو تحت أنقاض، والذي وقع عليه جدار في مصنع أو منجم، والمبطون الذي مات بمرض خبيث بالبطن، وكذلك الأم التي ماتت وهي تضع مولودها... إلخ.

أيها الناس لقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن القضاء والقدر فمنها:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦].

{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } [الأنبياء: ٣٥].

ومن الأحاديث القدسية في ذلك: ﴿إنما بعثت لأبتليك ويبتلى بك غيرك﴾ وهو خطاب الله إلى الرسول ﷺ حتى يكون أسوة وقدوة في الصبر على البلاء.

والحديث: ﴿أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب﴾. وفي حديث قدسي طويل معناه أن الله عز وجل ينادى في الخلق يوم القيامة وليس بينه وبينهم حجاب، ويقول: ﴿أين الذين ابتليتهم وصبروا، أين اللذين اختبرتهم ونجحوا، أين الذين أصبتهم ولم يجزعوا... وعزتي وجلالي ما ابتليتهم لهوانهم عندي وإنما لأخلصهم من السيئات والذنوب والمعاصي، حتى إذا كانت عندهم سيئة واحدة ابتليتهم حتى أغسلها عنهم فألاقيهم كما ولدتهم أمهاتهم، فاليوم لا أنصب لهم ميزانا ولا أبسط لهم صراطا، فاليوم أوفيهم أجورهم بالجنة وما صبروا﴾.

ويتأكد ذلك استنادا على ما جاء به القرآن الكريم حيث قال رب العزة تبارك وتعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠]، {إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾} [هود: ١١]، {وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾} [فصلت: ٣٥].

وأما الأحاديث النبوية الشريفة: ﴿يبتلى المرء على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في ابتلائه﴾.

﴿وترى أشد الناس بلاءً هم الأنبياء فالصالحون فالأمثل فالأمثل﴾.

﴿إذا أحب الله عبدا ابتلاه، فإن صبر اصطفاه، فإن شكر اجتباه﴾.

(الابتلاء... والأنبياء):

١- ابتلاء سيدنا آدم عليه السلام وهو أول ابتلاء من الله عز وجل بأن أمره هو وحواء والشيطان بالهبوط إلى الأرض لعصيانهم أمر الله فالشيطان مكر على حواء وجعلها تنضم معه لإغواء آدم فأكل من التفاحة المعلقة على الشجرة التي حرمها عليه الله وحذره منها، ففيها حكمة لا يعلمها إلا الله كما سبق الإشارة في هذا الخصوص إلا أن آدم سمع كلام إبليس وصدقه في رواية الشجرة التي فيها ثمرة الخلد فأكلها فخرج من نعيم الجنة وهبط إلى الأرض ومعه حواء ليواجها الشقاء والهموم والأعباء وشدائد الحياة على الأرض وكذلك طرد الله إبليس من نعيم الجنة عقابا له لعصيانه أمر الله وكبريائه وغروره بعدم السجود لآدم وحسده وحقده عليه، فأول ابتلاء كان لآدم وحواء، وأول عقاب كان للشيطان.. فأما خلق حواء فهو قضاء من الله، وأما من أين تخلق وفي أي بقعة من الأرض تهبط، وكم يكون عمرها، وكيف يكون شكلها وصورتها فإن تلك المفردات هي القدر...

فلما هبط آدم إلى الأرض اعتذر وتاب وأناب إلى الله فتاب عليه الله واصطفاه... فهبوط آدم وحواء إلى الأرض ليعلمنا الله أن من يتبع خطوات الشيطان يكون مصيره الغضب من الله عز وجل وفقد نعيم العيش والحياة ليواجه الشقاء والمعاناة، وأما طرد الشيطان من الجنة هو عقاب وليس ابتلاء فلن يدخلها مرة أخرى ومأواه النار وبئس المصير...

وقال رب العزة تبارك وتعالى في كتابه العزيز:{إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾} [آل عمران: ٣٣]. فآدم هو نبي الله ورسوله ومصطفاه، وهو الذي شكله بيده ونفخ فيه من روحه... وهو هكذا في علم الله المسبق وكتبه في أم الكتاب، ولكن الله قدر عليه أن يمر بهذه المراحل أولا حتى يتهيأ ليكون أول نبي مرسل على الأرض، فالقضاء حكم وأمر إلهي وأن القدر هو تفصيلات القضاء. أين؟ ومتى؟ وكيف... إلخ.

فابتلاء آدم بحواء بسبب سوء بعض تصرفاتها وأفكارها... وحواء لها جوانب حسنه وعظيمة وكثيرة، وجعلها الله لآدم سكنا ورحمة، وأن آدم بدون حواء ما خرجت هذه البشرية إلى الحياة الدنيا، وعمرت الأرض بحركة الحياة... فالدنيا أولها وأخرها، وخيرها وشرها إنما هي ابتلاءات واختبارات وامتحانات للإنسان وصدق رب العرش العظيم في كتابه العزيز:{وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ} [الأنبياء: ٣٥]، فخلق حواء من ضلع آدم الأيسر إنما سببه لوضع الأحكام الفقهية والشرعية من عند الله عز وجل لأجل إنجاب الذرية، والطاعة، والقيادة، ونصاب الميراث، وسكنا ومودة ورحمه بين آدم وحواء... وفي ذات الوقت والحال فإن حواء تجمع بين الصفات الحسنه والصفات السيئة، فيصبر آدم على الصفات السيئة وأعظم هذه الصفات سوءًا: يتمنعن وهن الراغبات، ويحلفن وهن الكاذبات، وينكرن العشير.

وكذلك يحمد الله آدم ويشكره على صفات حواء الطيبة... فالمرأة نصف المجتمع ولا ننكر ذلك... والمرأة تتفوق أحيانا على الرجل في بعض الأمور، فهي تعمل وتقود وتدبر ونحن لا ننكر ذلك.. والمرأة صالحة في كثير من الأحيان وفي أمور عدة ونحن لا ننكر ذلك.. والمرأة جاهدت في سبيل الله في عصر الإسلام الأول، وشاركت الرجل في الأعمال الدنيوية وما زالت تعطى وتشارك الرجل ونحن لا ننكر ذلك أو نجحده.

٢ - ابتلاء سيدنا نوح عليه السلام بابنه الذي خرج عن طاعته ولم يستجب لرجائه.

وذلك لما صنع نوح السفينة التي علمها له الأمين جبريل... وقال له يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء.. قال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله، وستكون مع المغرقين... فلما دعا نوح ربه لينجى ابنه، قال له رب العزة تبارك وتعالى:{إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ} [هود: ٤٦]... وأنزل الله الماء من كل جانب فسارت السفينة وأبحرت ونجا نوح ومن معه من المؤمنين، وانتقم الله من القوم الكافرين ومعه ابن نوح وكانوا من المغرقين.

٣- ابتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ لما اجتمع أهل الكفر والشرك على أن يلقوا إبراهيم عليه السلام في النار، وقد أعدوا وقودها في ثلاثة أشهر، فلما أوقدوا النار كانت واديا من النار، فأمرها رب العزة تبارك وتعالى وقال لها:{يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ

إِبۡرَٰهِيمَ } [الأنبياء: ٦٩]، فلم تصبه بحروق وإنما أحرقت وثاقه من الحبال الذي لفوه على يديه وقدميه... وأيضا ابتلاء آخر لما رأى في منامه أنه يذبح ولده إسماعيل وأن رؤية الأنبياء حق وصدق فآمن وصبر واستعد لتنفيذ أمر الله واستسلم ابنه إسماعيل وأم إسماعيل لأمر الله وحكمه، وجاهدوا الشيطان ومكره، فنجا الله إسماعيل وكشف الغمة عن إبراهيم وأمره بأن يفديه بكبش فافتداه إبراهيم بذبح عظيم.

٣- ابتلاء سيدنا أيوب عليه السلام؛ لما مرض أيوب مرضا شديدا لمدة ثماني عشر عاما، فضاعت صحته، وفقد ماله وابنه، ورغم ذلك حمد الله وصبر... فلما ضاقت به ظروف الحال والمال وسعت امرأته في رعايته، اشتكا إلى الله ولم يشكو منه لخلقه وقال:{ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [الأنبياء: ٨٣]، فاستجاب له رب العزة وأمره بأن يضرب الأرض برجله، فأخرجت مياهًا طهورا، فأخذ يغتسل منها فتداوى جلده وشفى من الخارج، ثم أخذ يشرب منها فتداوى بها وشفى من الداخل.

٤- ابتلاء سيدنا يونس عليه السلام؛ لما خرج يونس من قريته مغاضبا ولم يستطع الصبر في تبليغ الدعوة إلى الله مع قومه بسبب عنادهم وكفرهم ولم يستمع إلى أمر الله بالبقاء بين أظهرهم، وركب السفينة مع قوم مسافرين، وفي أثناء الرحلة اشتدت الرياح وعلت الأمواج وهاج البحر، وتعرضت السفينة للغرق فأقاموا قرعه لتحديد من يقع عليه الدور فيلقونه في البحر حتى يخف وزن الحمولة

وتتوازن السفينة، فوقعت القرعة على يونس فألقوه في البحر فابتلعه الحوت، وحينئذ تذكر أنه أخطأ مع الله لمغادرته القرية وعدم صبره على قومه في تبليغ الدعوة إلى الله، فأخذ يسبح في بطن الحوت المظلم... وفي أعماق البحار... وفي الليلة المظلمة... أخذ يسبح ويقول:{لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ } [الأنبياء: ٨٧]، فاغفر لي " فسمع الله توبته وإنابته فأمر الحوت أن يلقيه على الشاطئ، وأعد له شجرة من يقطين وهى شجرة القرع العسل تحميه بورقها الكبير وتظله من الشمس ويأكل منها وتغذيه.

٥- ابتلاء يوسف عليه السلام؛ لما تآمر عليه إخوته لشدة حب أبيهم له فألقوه في البئر ليتخلصوا منه، وأنجاه الله وأرسل إليه السيارة ليلقوا بدلوهم في البئر بحثا عن الماء فتعلق به يوسف، وباعوه بيع الرق في السوق، وهذا هو قدر الله... واشتراه العزيز ملك مصر وراودته عن نفسها امرأة العزيز وراوغته بمفاتنها فحماه الله منها فلم يفعل معها السوء ولا الفحشاء، فانتقمت منه واتهمته لدى زوجها وقالت له: إن يوسف أراد النيل منها فسجنه العزيز حتى برأه الله بعد ذلك، وشهدت امرأة العزيز على نفسها بأنها كذبت في أمر يوسف لما خرج من السجن ليفسر رؤية الملك التي رأى فيها أن سبع بقرات سمان تأكلهن سبع بقرات عجاف، فقال يوسف من تعليم الله له بأن البلاد سوف تتعرض لمجاعة لمدة سبع سنوات، وأنه يجب عمل الحيطة والحذر والاستعداد لمواجهة هذه المجاعة القادمة بتخزين حبوب القمح من ناتج السنوات السبع العظيمة، حتى إذا ما جاءت

المجاعة وجد ما يكفى لسد حاجات الناس.

.. وعين يوسف وزيرا على خزائن مصر وتموينها، ووزع المؤن على من أصابته المجاعة من داخل البلاد أو من خارجها، وأعطى لإخوته منها وأخبروا أبوه على ما فعلوه معه فرفع الله عنه الحزن ورد عليه بصره بإلقاء قميص يوسف على وجهه.

٦- ابتلاء موسى عليه السلام: لما ولدته أمه خافت عليه من فرعون أن يقتله فأوحى الله إليها أن تلقيه في اليم (البحر) فوضعته بلفافة في قفص من البوص والخوص، فلما جرفه تيار الماء وقع في أيدي جنود فرعون، فأخذوه إلى الفرعون، فرأته امرأة الفرعون جميلا فقالت: لا تقتلوه واتركوه لنا، لعلنا نجد فيه خيرا ونفعا... فأخذوا يبحثون عن مرضعة لموسى، فذهبت أخته إلى امرأة فرعون وقالت: هل أدلكما على من تكفله بالرضاعة؟ قالت: بلى. فجاءت بأمها لترضعه على عينها... وتربى موسى في قصر الفرعون... وتطورت مراحل عمره بالدعوة إلى الله ومجاهدا ضد فرعون وقومه، فلما كبر ونضج جاهد بالدعوة وخرج بعيدا، ورأى رجلان يتقاتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه، فلما رآهما استغاث الذي هو من شيعته، فوكز موسى الذي يقاتله فمات عن دون قصد وعمد، وإنما هي قوة موسى البدنية التي وهبها له الله، فما كان من موسى إلا أن فر هاربا وخائفا من أن يتتبعه أهل القتيل، وكانت الحكمة الإلهية التي لا يعلمها أحد إلا هو السميع العليم بأن يوقع جريمة القتل حتى يلتقي موسى بابنتي سيدنا شعيب وهو رجل كبير في السن،

فرآهن موسى ينتظرن حتى يفرغ الناس من استحقاقهم من الماء وسقيانهم، فأخذ موسى منهن الوعاء وأفرغ فيها الماء من البئر وانصرفا ثم حكيا لأبيهما القصة، فعرض أبيهما عليه الزواج من إحداهن... إلى آخر القصة.

فابتلاء موسى في طفولته وفي قتله نفسا بغير حق، وكان قتله خطأً وبدون قصد أو عمدًا أو سبق إصرار وترصد، إنما هو نوع من الابتلاء... فالأنبياء لا يقتلون النفس التي حرمها عليهم الله وطبقا لتشريعات الله في الأرض، وكذلك ابتلاءات سيدنا عيسى عليه السلام وهي كثيرة وأعظمها اضطهاد اليهود له ومحاربته والتخطيط لقتله حتى رفعه الله إليه لينجيه منهم، وابتلاء أمه مريم في حمله بنفخه من روح الله، أرسلها الله إليها عن طريق الملك.

٧- ابتلاء رسول الإسلام محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين.

لقد كان الحبيب المحبوب والصادق المصدوق الأمين، عاشق الإسلام ومن المسلمين معشوق أعظم الأنبياء ابتلاءً، وأشدهم اختبارا، وأقواهم كرما، وأعلاهم صبرا، وأكثرهم حلما، ولد يتيما فلم ير أبيه، وتوفيت أمه وهو في عمر الست سنين، وتربى عند جده عبد المطلب، ولما مات جده أكمل عمه أبو طالب رعايته... وأحبه عمه حبا جما، وكان له عونا وسندا ضد كفار ومشركي قريش، فقد كان أبو طالب صاحب هيبة وشخصية قوية ومكانة اجتماعية، وبرغم ذلك وكل هذه الصفات الطيبة أنه لم يستجب لرجاء الرسول

ﷺ ودعوته في الدخول إلى الدين الجديد والنطق بالشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولكنه في ذلك الوقت لم يمنع الرسول من تبليغ الدعوة إلى الناس، وقال له؛ يا بن أخي قل ما شئت وافعل ما شئت " فكان ذلك نوعا من الابتلاءات التي واجهت الرسول ﷺ، ابتلاء شبيه بابتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام في كفر وشرك أبيه آزر، وابتلاء سيدنا نوح في ابنه، ورفضه لركوب السفينة معه ومع القوم المؤمنين، وفضل البقاء مع القوم الظالمين فغرق معهم.

فابتلاء نوح في ابنه قياس مع الفارق في الظروف التي أحاطت بنوح وابنه وبين الظروف التي أحاطت بأبي طالب والرسول وذلك فإن شفاعة المصطفى ﷺ لعمه أبو طالب يوم القيامة بتخفيف الحساب وقال لعمه أبي طالب وهو على فراش الموت استغفر الله ربى إنه كان غفارا، وعمل عليه الصلاة والسلام برعي الغنم في عمر ثماني سنوات، ثم عمل بالتجارة مع عمه أبي طالب في سن الاثني عشر عاما حتى تزوج السيدة خديجة وهو في سن خمسة وعشرين عاما وكانت خديجة في سن الأربعين وأنجب منها كل أولاده البنات والذكور عدا إبراهيم فكان من مارية القبطية المصرية التي أهداها له المقوقس ملك مصر، ومات جميع أبناؤه الذكور وهم في سن الطفولة القاسم وعبد الله وإبراهيم، وهذا ابتلاء من الله لحكمة إلهية، فالرسول هو خاتم الأنبياء والمرسلين ومن ثم أراد الله أن يقطع سلسلة النسب من صلبه في الذكور، حتى يكون التوحيد لله، والعبودية الخالصة لله وحده، والله أعلى وأعلم.

نزل عليه الوحي الأمين جبريل بالرسالة وهو في سن الأربعين حال تعبده في غار حراء، وتعرض للسحر على يد لبيد بن الأعصم اليهودي.

حاصره الكفار المشركون من قريش اجتماعيا، فامتنعوا عن الزواج من أتباع محمد، وحاربوه اقتصاديا، فمنعوا عنه دخول الحبوب والغذاء حتى أكلوا أوراق الشجر لمدة ٣ سنوات، ثم توجه إلى الطائف لعله يجد عند أهلها النصرة والمنعة والقوة والمؤازرة في تبليغ الدعوة ضد هؤلاء الكفرة والمشركين من قريش، إلا أنهم خذلوه وعاملوه أسوأ معاملة، وسلطوا عليه الصبيان والغلمان ليقذفوه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتين وجرح وجهه المصباح الوضاء، ولم يكن معه أحد سوى زيد ابن حارثة فأخذ يمنع عنه ويضمه إلى صدره ليحميه منهم، وهذا هو القضاء والقدر من الله عز وجل ليكون محمد ﷺ أحب خلق الله إلى الله.. وخليله ومصطفاه... وسيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر.

وتوفت زوجته السيدة خديجة ومن بعدها بحوالى شهر وخمسة أيام توفى عمه أبو طالب وذلك في عام واحد وسمي هذا العام بعام الحزن عند الرسول ﷺ، وحزن الرسول وأحس بالانكسار لفراق من كانا يساندانه في الدعوة وتبليغها، ومواجهة قسوة الحياة الدنيا والعيش فيها.. وعلم بحاله علام الغيوب عما أصابه من عمق الجراح في نفسه فاستضافه رب العزة تبارك وتعالى عنده في السماوات العلا وعلى بساط الأنس والنور في ليلة واحدة اسمها الإسراء

والمعراج ليخفف عنه ما أصابه وليطمئن قلبه وتقوى عزيمته ويتزود بالشحنة الإيمانية من المركزية الإلهية، وتكون معجزة الإسراء والمعراج أعظم معجزة إلهية قدرًا وقيمة في تاريخ الأنبياء جميعًا.

وكلمه ربه تبارك وتعالى بالترحاب أولا، ثم أمره بالصلاة خمس مرات في اليوم بعد أن كانت خمسين... وقال ابن عباس ﵄ أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال:﴿**رأيت ربى تبارك وتعالى.. رأيته نورا**﴾.. ثم هاجر الرسول من مكة إلى المدينة بأمر من الله عن طريق الوحي الأمين جبريل، ولم تكن الهجرة خوفا أو جبنا أو خشية من كفار ومشركي قريش، وترك كثيرا من أهله وأحبابه وأصحابه، وصعد فوق جبل أحد يودع مكة وقال:﴿**والله ، يا مكة لأنك أحب البلاد إلى الله وأحب البلاد إلى قلبي، ولولا إن أهلك أخرجوني منك ما خرجت أبدا**﴾.

فالخروج من مكة والهجرة إلى المدينة بأمر من الله وأما سبب الخروج هم أهل مكة من الكفرة والمشركين.. ألم يكن في كل هذه الأحداث والوقائع عظمة الابتلاءات وقمة الاختبارات وأقوى الامتحانات التي لن يقدر عليها بشر سوى حبيب الرحمن وحده فاستحق من الله أن يضم اسمه إلى جوار اسمه تشريفًا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وهاجر الرسول إلى المدينة فتلقى من أهلها أحسن الاستقبال والتهليل، وفيها بدا تأسيس الدولة الإسلامية... وقبل رحيله عن الدنيا ابتلاه الله بمرض الموت أربعين يوما بالحمى وكانوا يأتون له بالماء بسبعة قرب من سبع آبار يوميا ليطفئوا نار الحمى.

(الصبر على الابتلاء):

عن أبي إمامه ﷺ أن النبي ﷺ قال في حديث شريف:﴿**يقول الله سبحانه وتعالى؛ ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى، لم أرض لك ثوابا دون الجنة**﴾.

فالصبر هو الرضا بالقضاء والقدر، والإيمان به خيره وشره.. حلوه ومره؛ لأن القضاء هو حكم الله وأمره، وأما القدر فهو تفصيل القضاء. أين؟ متى؟ كيف؟... إلخ... فعجبا لأمر المؤمن الذي يجزع ويسخط عند وقوع البلاء.. وقال النبي ﷺ في حديثه بصحيح البخاري ومسلم:﴿**ما من مصيبة تصيب المسلم إلا وكانت كفارة له حتى الشوكة يشاكها**﴾ وعن أبي يحي صهيب بن سنان عن رسول الله ﷺ أنه قال:﴿**عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته السراء شكر فكان خيرًا له، وان أصابته الضراء صبر فكان خيرًا له**﴾ (رواه مسلم).

... ومن ذلك الحديث يبين أن كل ابتلاء مادي أو معنوي إنما هو تكفير ذنوب وتطهير عيوب، ومن ثم ترتفع الدرجات لمن وقع عليه البلاء... فهذه الابتلاءات منّة من الله ورحمة لعباده، ولا يعلم بهذه النعم إلا المؤمن... فمن أحبه الله عز وجل ابتلاه... وأن من بين

الابتلاءات والاختبارات التي تواجه الإنسان في حياته الدنيا خمس أشياء أخبرنا بها الرسول عليه الصلاة والسلام فقال:﴿المؤمن بين خمس شدائد؛ مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقتله، ونفس تنازعه، وشيطان يضله ويغويه﴾.

فإن جاهد الإنسان نفسه وصبر على المكاره، وتحمل الخمس شدائد فما له أجر سوى الجنة... ويقول المصطفى العدنان ليس للصبر جزاء سوى الجنة.. فمن صدق مع الله وآمن بالقضاء والقدر وصبر عليه وارتضى به أحبه الله.. وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: ﴿أني إذا أحببت عبدا ابتليته ببلاء لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه، فإن وجدته صابرا اتخذته وليا حبيبا، وإن وجدته جذوعا يشكوني إلى خلقي خذلته ولا أبالي﴾.

ويقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وبشرى الصابرين في هذه الآية بأن الله أعد لهم الأجر والثواب والرحمة والمغفرة من الذنوب والمعاصي، وأن الجنة هي مأواهم في الآخرة.

ويقول رب العزة تبارك وتعالى في كتابه العزيز:{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ

عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾} [الحديد: ٢٢ - ٢٣].

فإن لله في خلقه شؤون، كل يوم هو في شأن، يرفع من يشاء ويخفض من يشاء، ويغنى من يشاء ويفقر من يشاء، ويمرض من يشاء ويشفى من يشاء، ويرضى من يشاء ويخذل من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء... فلا نأمن الدهر بدوام السعادة والفرح والافتخار، ولا نستسلم للحزن والهم والغم، فإن بعد العسر يسرا، وإن بعد ظلام الليل يأتي إشراق الصباح... فعلينا بالشكر والحمد لله على السراء، وواجب الرضا بالقضاء، وعزيمة الصبر على ما حكم الله به وأمر بابتلاء.

(الابتلاء يكشف عن الصديق والعدو):

إذا ما وقع الإنسان في مأزق وابتلاء ومحنة شديدة بقضاء الله وقدره كمرض ليس له دخل فيه، أو تهمه كاذبة ظالمة من أهل الفساد والسوء ضد بريء وشريف يقف مع الحق والعدل وإنصاف المظلوم ولا يقبل الحرام بإلباس الباطل ثوب الحق أو إلباس الحق ثوب الباطل، ولا يرفض طلب مساعدة أحد من أجل الحصول على حقه المهضوم ولا يخشى في الحق لومه لائم... أو يخسر رجل أمواله في البورصة أو كساد في تجارته أو توقف مشروعاته، أو موت كبير أسرة أو عميد عائلة، أو فشل مشروع زواج، أو وقوع حادث مروع... إلخ.

وهنا عندما تقع المصيبة ينكشف العدو من الصديق، ومعدن الصديق الوفي والمنافق الغبي، والفاسق الملتوي، والعدو المختفي، والحاقد الثرثري، والظالم المفترى... فإذا ما وقعت المصيبة يتكشف أيضا معيار الإسلام والإيمان، والأخلاق السامية، والسلوك الإنسانية، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك في صحيح البخاري: ﴿**لا تظهر الشماتة لأخيك، فيعافيه الله ويبتليك**﴾.

أما الانتهازيون الذين ينتهزون فرصة وقوع الابتلاء بالمرض أو الضعف أو الاتهام الباطل أو غير ذلك فذلك هو الخسة وضعف الإسلام والإيمان عندهم، وخلو الأخلاق والقيم والمبادئ من طباعهم.. فالانتهازي والاستغلالي لابتلاء أخيه المسلم من أجل تحقيق شيء له هو في الأصل حرام عليه شرعا وقانونا.

فالانتهازي والاستغلالي يكشف عن معدنه الرديء وأنه متعلق بالدنيا ولا علاقة له بالدين، وأحب الدنيا ونسى الآخرة، وتمسك بالحياة وغفل عن الموت... وارتكب المعصية والذنوب ونسى يوم الحساب.. فالواجب علينا جميعا، بل ويقتضي أن نترك فعل المؤامرات واتهام الناس بالباطل واجتناب الظن السيئ والشائعات المغرضة التي تهدم البيوت وتؤذى الأسر والعائلات...

فإن بعد وقوع القضاء والقدر الذي أراده الله فإنه يكشف الغمة بعد فترة من الزمن وفي وقت معلوم يحدده رب الغيب والعلوم فتظهر الحقيقة ودليل المتهم بالبراءة، أو يشفى العليل من أمراضه، أو تعود عجلة النشاط بدورانها وتتحسن الأحوال في التجارة

والبورصة والمشاريع، أو إصلاح الحال بالزواج الأفضل عن سابقه... إلخ.

وهكذا تتغير وتتعدل الأحوال على غير ما يتمناه العدو أو الحاسد أو الحاقد أو الغلاوى أو مريض القلب والنفس، فيكون نفسه سوءا، فلا يستطع أن يحذف من شريط الابتلاءات لقطات التلفظ بالشماتة... وأما الصديق المسلم المؤمن الوفي فإنه يقف بجوارك ويساندك ويعينك ويؤازرك على مواجهة الابتلاء والصبر عليه.

(الحسد... قضاء وقدر):

عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ :﴿**لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه أناء الليل وأناء النهار، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار**﴾ رواه البخاري ومسلم بسند صحيح.

والمعنى أنه يوجد حسد محمود وهو ما يسمى بالغبطة، وهو أن الرجل المسلم المؤمن يتمنى أن يكون في مثل عمل الرجل الصالح المجاهد في سبيل الله ".

إنه يتمنى مساواته ولا يتمنى زوال هذه النعمة عنه ولا من بين يديه، ولا يتمنى الزوال. أما ما يعرف بالحسد المذموم؛ أي بالحسد المكروه والمحرم شرعا؛ هو تمني زوال النعمة عن صاحبها، وأن الحسد لا يسرى في حق المرء إلا بعد موافقة الله عز وجل، فان أجاز الله الحسد وقع الابتلاء لحكمة هو يعلمها، فقد يكون بسبب

كبرياء المحسود وعجبه بنفسه، أو تعاظمه على الخلق أو بسبب بخله على أهل بيته والمساكين وعدم إنفاقه في سبيل الله مما يتضرر ويتأذى منه المحتاج أو الضعيف أو المسكين أو صاحب الحاجة، فينظر إلى ذلك الرجل القادر والبخيل والمتكبر نظرة حقد وحسد، لأنه لا يعطى ولا يعطف على الفقراء أو أن يكون المحسود رجلا صالحا بسبب أنه يكون قد، أخطأ في حق مسكين أو ذوى قربى دون قصد متعمد فينظر إليه بالحقد والحسد فيتقبل الله ذلك فيسرى الحسد في حقه ليطهره الله من ذلك الذنب، ويلتفت المحسود إلى ذلك الخطأ فيسرع بتغيير مساره.. إلخ.. فلا يجوز للمسلم أو المؤمن أن يحسد أخاه على النعم بالتمني بزوالها عنه ومن بين يديه دون أن يكون عنده حاجه، أو سأله ولم يعطه أو طالبه بحاجة فتكبر عليه، ولكن يحق للإنسان أن يحسد الرجل الصالح (الغبطة).

(أحكام القضاة... والابتلاء):

إن رجال القضاء والنيابات العامة وكافة جهات التحقيق يكونون في معية الله وحفظه وإلهامه لهم عند صدور الحكم أو اتخاذ القرار؛ لأنهم خلفاء الله في الأرض من أجل الحق، ويقول رب العزة تبارك وتعالى في كتابه العزيز لنبيه داود:{ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ } [ص: ٢٦]، وكان داود نبيًا وملكًا يحكم قومه.

كما أن الله اسمه الحكم العدل واسمه الحق فهذه أسماء الله وصفاته.. كما أن العدل أساس الملك.. فإن الاستقرار والتوازن في جميع مناصب الحياة أساسه العدل، حتى الجنة والنار تم تأسيسها من قبل الرحمن على أساس العدل... ولخطورة وأهمية نتائج الأحكام القضائية بعد تنفيذها والآثار المترتبة عليها ماديا ومعنويا، وأسريا وعائليا، واجتماعيا وتاريخيا، ويعلوا ذلك كله ما يترتب على هذه الأحكام من الناحية الدينية، فالظلم يصنعه الظالم، والظالم لا يخشى الله ولا يتقيه، ومن ثم فإن حسابه عند الله عسير.

ومن هذا المدخل فإن الله ملهم القضاة في أحكامهم أما إذا سقط حكم وجاء مخالفا للحقيقة والواقع، وقد جاء غير منصفا، دون أن تكون المحكمة أو النيابة العامة في حكمها أو قرارها قاصدة متعمدة في ذلك فإنه يكون القضاء والقدر من عند الله عز وجل لحكمة لا يعلمها أحد إلا هو، وبناء عليه فإن ذلك الحكم يكون قد خرج عن معية الله ورعايته وإلهامه ولا مسئوليه على القضاة أو النيابة العامة أمام الله يوم الحساب لأنهم راعوا حق الله وخشوا عقابه بأن تحروا الدقة في بحث أركان القضية أو الاتهام، وقالوا كلمتهم.. وقد ألهم الله المشرع بالقوانين بأن جعل المحاكم درجات وأنواع حتى يتمكن التظلم من الأحكام الصادرة من محاكم أول درجة بالاستئناف ثم بعد ذلك محكمة النقض، وأما قرار النيابة العامة فألهم الله المشرع القانوني بأن أوضح درجات التظلم وخطواته أمام المحامى العام والمحامى العام الأول والنائب العام حتى تستوفى العدالة جميع

الطرق والأبواب.. ومن هنا ومن خلال هذه السطور النورانية الربانية لا أجد حرجا بأن أوجه الشكر لرجال القضاء والنيابات الذين يخشون الله ويخافون عذابه يوم الحساب؛ لأنهم رمز العدالة وكلمة الحق وإنصاف المظلوم.

ويقول المصطفى ﷺ في صحيح البخاري:﴿قاضيان في النار، وقاضى في الجنة﴾ قاضى يحكم وهو جاهل وقاضى يحكم وهو يعرف الحق ويحيد عنه، أما القاضي في الجنة هو الذي يحكم بأمر الله والتمسك بالحق والعدل والصدق والخشية من الله ويتقيه استعدادا ليوم الحساب وأنا أوجه إليهم الشكر والتقدير لأنهم لا يخشون في الحق لومة لائم فهم يسألون الناس في الدنيا ويسألون عنهم يوم القيامة وهم لا يظلمون أنهم لا يحكمون إلا بما أمر الله به ورسوله... فأدواتهم العقل والضمير وكتاب الله وسنته... ورايتهم الحق والعدل.. وشيمتهم الرحمة فوق القانون بشروط الرحمة... إنهم يعلمون تماما بأنهم أصحاب تكليف ورسالة ومسئولية سماوية قبل أن تكون مهنة أو وظيفة دنيوية. نعتز بالقضاء والنيابات دون نفاق أو رياء وليس لنا مصلحه في ذلك، وإنما الواجب الأخلاقي، والتوجيه الرباني جعل من ذلك تذكرة لتظل راية الحق والعدل مرفوعة وراية الظلم دانية، وأما القاضيان في النار، فرجل قضى على جهل والآخر علم بالحق ولكنه قضى على خلافه.. وقد قالت محكمة النقض في حكم لها " لا تثريب على عدالة المحكمة إن هي أبرأت متهمًا ولكن يعز عليها أن تدين بريئًا " .

(القضاء والقدر بأسباب... والقضاء والقدر بدون أسباب):

إذا سقطت طائرة بسبب عطل فني ومات ركابها أو بعض منهم، أو نجاة جميع الركاب لنزولها الاضطراري بالمطار وقد أحاطها الفنيون ورجال الإطفاء والإنقاذ ولكن الركاب أصيبوا بالذعر والصدمة النفسية والعصبية، فهذا هو قضاء الله وقدره لعلمه المسبق وإثباته في الكتاب الأزلي.. فالقضاء والقدر ابتلاء مادي ومعنوي من الله عز وجل... وإذا غرقت سفينة بركابها بسبب عطل فني أو الأمواج العاتية أو شدة الرياح فذلك هو قضاء الله وقدره.. ويقول رب العزة تبارك وتعالى:{ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [النساء: ٧٨]، وهذا ما حدث بالنسبة إلى الرئيس الراحل أنور السادات الذي استشهد أثناء الاحتفال بعيد انتصار القوات المسلحة على القوات الإسرائيلية في أكتوبر ١٩٧٣ وتحرير الأرض وكان وسط الحرس الجمهوري وأمن الدولة والجيش ولكنه أمر الله وقضائه وقدره... فتعددت الأسباب والموت واحد.. فالموت قضاء وقدر، قضاء بانتهاء الأجل في زمن معلوم عند الله، وأما الأسباب المتعددة للموت فهو القدر، أي التفاصيل والآثار، وما يترتب عليه خلال الموت وأثناء الموت وبعد الموت، فأحيانا تكون أسباب الموت ترجع إلى فعل شخص أو جماعة من الأشخاص، ولم يتدخل الله سبحانه وتعالى في منع هذه الأسباب حتى يتحقق الموت في توقيته الذي حدده في الكتاب الأزلي.

إذن فالموت قضاء وقدر أصلا، وأما الأسباب ربما تعود لفعل البشر وربما تكون لأسباب إلهية تخرج عن تدخل مخلوق؛ لأن الله عز وجل رحمن رحيم ولا يأمر ملائكته أو خلقًا من خلقه بتشغيل أو إعمال إيقاع القتل والضرر والأذى لعباده في الأرض دون أسباب، اللهم إذا كان ذلك لحكمة هو يعلمها ونحن لا نعلمها لأنه يعلم أنه خير، وفي جرائم القتل في البشر فإنه لم يتدخل في منع ارتكاب الجريمة لأن توقيت الجريمة يتفق مع توقيت وميعاد الأجل الذي حدده الله للنفس وأما إذا وقف إنسان على رصيف الطريق فصدمته سيارة مسرعة وشاردة وطائشة وقد تركت الشارع والطريق الذي تسير عليه وتصعد للرصيف لتقتل هذا الإنسان الذى كان في مكان آمن فذلك قضاء وقدر من ابتدائها حتى انتهاءها لأنه لم يقع القتل بفعل متعمد... وإما إذا ركب شخص سيارته وهو مخمور أو تعاطى مخدرات وارتكب حادث تصادم فأصاب أحد الناس بالقتل أو العجز أو الشلل أو عاهة مستديمة، وكذلك إذا أدمن شخص الخمر أو المخدرات حتى أصيب بمرض فيروس الكبد أو الإلتهاب الرئوي الحاد فيكون ذلك المرض قضاء وقدر من الله وسببه خطيئة هذا الإنسان المبتلى... فالقضاء هو وقوع المرض، والقدر هو مفردات القضاء حجمه وزمانه ومكانه؟ وهل سيشفى أم سيموت؟ ومتى؟ وكيف؟ ومراد الله عز وجل من الابتلاءات هو غسل الذنوب، فلا يجوز لمبتلي وهو في محنة شديدة أن يتخلص من حياته بالانتحار برغبته وإرادته الحرة لأنه لم يستطع الصبر على ابتلائه، فإن فعل

ذلك لا يعد قضاء وقدر، مثله في ذلك مثل قزمان، الرجل الذي كان يحارب مع رسول الله ﷺ بقوة وشجاعة فأخبروا الرسول عنه فقال لهم النبي الملهم بأن قزمان هذا في النار.. فاندهش الصحابة لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى أصيب قزمان برمح في صدره من أحد المشركين ولم يستطع الصبر على ذلك الجرح وخشي أن يقول الناس عنه: أنه منهزم وجبان فوضع مقبض سيفه على الأرض وسنه إلى أعلى وجعله يدخل من أسفل ذقنه حتى نفذ من أعلى رأسه فمات، وأخبروا الرسول بموت قزمان فقال لهم الرسول ﷺ :﴿**ألم اقل لكم أن قزمان هذا في النار رغم شجاعته**﴾ ، لقد مات قزمان منتحرا غير راضي بقضاء الله وقدره فمات كافرا.

وأما إذا أجرى المريض عمليه جراحية وقد نجحت علميا ولم تقع بها أخطاء مهنية ولكنه توفى بعد إجرائها فإن ذلك هو قضاء وقدر الله ابتداء وانتهاء ليذكرنا الله عز وجل بذاته العلية ويذكرنا بالموت، وهذا نوع من أنواع القضاء والقدر بأسباب وبدون أسباب فقال في كتابه العزيز:{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} [لقمان: ٣٤]، ويقول:{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾} [الأعراف: ٣٤]، وكذلك القضاء والقدر في الأرزاق حيث قال في كتابه العزيز:{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} [لقمان: ٣٤]، وقوله:{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ} [الذاريات: ٢٢ - ٢٣]، قضاء بالأسباب، فلا تكون مثقفًا حتى تتعلم، ولا تحصل على الرزق إلا بالسعي عليه، ولا تشفى من الأمراض إلا بالعلاج فيقول

المصطفى العدنان:﴿**تداووا يا عباد الله فان من خلق الداء جعل له دواء**﴾.

لذا فإن كل ما يأتي ويحدث للإنسان من أمور وتغيرات في حياته اليومية دون دخل له فيها ولا يستطيع فعلها أو صنعها أو لا يتمنى حدوثها فإنما ذلك هو قضاء وقدر من البداية إلى النهاية لحكمة غيبية لا يعلمها أحد سوى الله عز وجل، فالله يريد بصاحب الابتلاء الخير والنجاة من النار عدا العقاب الذي يعاقب به الكافر والمشرك والملحد والظالم بطغيانه وفساده وجبروته وكبريائه وتعاظمه وعجبه بنفسه... وأما إذا كان الإنسان له دخل مباشر في إتيان هذه الأمور والأحداث، أو قام بصنعها بنفسه كمن أعد سكينا ليذبح أخاه الإنسان، أو اشترى مسدسا ليقتل به نفسا بدون وجه حق، فيكون قضاء الله وقدره بعد أن أخذ القاتل بأسباب الجريمة بحريته واختياره وإعداد آلة القتل واختيار الوقت والظروف المحيطة بارتكاب الجريمة، ذلك لعلم الله المسبق بما سيحدث وكتبه في الكتاب الأزلي عنده قبل أن يخلق آدم فتكون جريمة القتل بتوقيتها تتوافق مع ميعاد وحلول أجل القتيل فلم يتدخل الله بمنع وقوعها ويعاقب القاتل ويثيب المقتول، والله رحمن رحيم ولا يقتل الروح غدرا بيديه مخالفا الميعاد الذي حدده، ولم يخلقنا الله ليعذبنا، وإنما ليرحمنا ويتوب علينا ويغفر لنا ويجازينا بالأجر والثواب على الرضا بالقضاء والقدر والصبر عليه.. فلم يخلقنا الله عبثا وإنما خلقنا لنعبده ونحمده ونسبحه ونتدبر ونتفكر في عظمته وقدرته وجميع مخلوقاته ثم العمران في الأرض والتناسل والتكاثر في الذرية.

إن وقوع البلاء قضاءً وقدر من الله سبحانه وتعالى سواء أكان بسبب فعل بشر أو بدون سبب تدخل بشر... فله حق الولاية بمنع وقوع البلاء، وله أن يجزه لحكمة غيبية يعلمها هو ونحن لا نعلمها، ولكنه أخبرنا بأن الابتلاء هو خير للإنسان المبتلى، فلا نجزع ولا نضطرب بوقوع البلاء. ونسأل هل هو غضب من الله؟ أم هو رضي من الله؟ فنحن لنا الظاهر بالأحاسيس والله له الظاهر والباطن معا لأنه السميع البصير، وهو علام الغيوب يعلم خائنة الأعين وما تخفيه الصدور... هو صاحب الأمر والنهى من قبل ومن بعد، وما علينا إلا الرضا والطاعة والرضا بالقضاء والقدر خيره وشره... حلوه ومره... فلا يكون لنبي مرسل، أو ملكا مقربا أن يطلع أو يستطيع الوصول إلى معرفة ملكوت الله وأسراره وحكمه وأمره وقضائه إلا بعض منها يعطيها لمن ارتقى فقد خط لنا في كتابه العزيز وسنة الحبيب المصطفى أمورنا وقد تشكلت في الولاء والبراء " الأوامر والنواهي الإلهية "... وأعطانا العلم بما يتناسب مع قدراتنا العقلية وذكائنا وفهمنا؛ لأنه هو الذي خلقنا وهو العليم بضعفنا... فاللهم ارحم ضعفنا، وتولى أمرنا، واجبر كسرنا، وانصرنا على من ظلمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا... إنك أنت السميع العليم.

(هل التآمر والتدبير بإيقاع مصيبة ضد الأبرياء قضاء وقدر):

إن السؤال الهام جدا والذي يطرح نفسه على الكافة هو؛ هل التآمر والتدبير والمكر السيئ، والقاء الشائعات الضارة والمؤذية

والمغرضة، وإلصاق التهم الباطلة ضد الشرفاء، سواء أكانت هذه التهم صادرة من أفراد أم جماعات، أم بطريقة الشفاهة أو البلاغات الرسمية ضد آحاد الناس بالباطل للنيل والخلاص منهم، فهل يعد هذا العمل الإجرامي قضاء وقدرًا؟ أم هو فعل الشيطان ونفس أمارة بالسوء؟... نقول بفضل الله وعلمه وتوفيقه وإلهامه: إن التآمر بالتدبير والتخطيط بدون وجه حق لإيقاع مسلم أو غير مسلم في مصيبة فإن ذلك عمل الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والهوى والطمع في الدنيا وليس من عمل المسلم المؤمن... وعندما تقع المصيبة في تنفيذ خطواتها الأولى فإن الله لا يتدخل في إيقافها بل يجيزها ويوافق على استمرار خطواتها عند حد معين ودرجة معينة، وتوقيت معين، وقد ترك المتآمر المجرم يرتكب الذنب والمعصية حتى تقيد ضده في صفحات كتابه بالسوء، وسواء كان المتآمر فردًا أو اثنين أو أكثر، وتقاس الذنوب لكل منهم بأهمية دوره واشتراكه وحجمه وتأثيره في تنفيذ الجريمة، وأن عدم تدخل الله عز وجل في منع ارتكاب الجريمة فإنما ليعطى للمجني عليه الأجر والثواب إذا رضي بالقضاء والقدر وصبر عليه.

وهنا يكون القضاء والقدر ابتلاء واختبارًا وامتحانًا ثم يتدخل الله عز وجل بنفسه لمنع تنفيذ خطوات أركان الجريمة وإفسادها للنهاية فيفسد على المتآمر الخطط وأمانيه بإعدام المتآمر ضده أو سجنه أو حبسه..

وقد يكون المتآمر بالموت بوضع سم في الطعام أو الشراب، أو الطعن بسكين تؤدى إلى الوفاة... أو بسرقة أمواله، أو حرق مصنعه، أو التآمر من أجل إبعاده عن منصب أو مركز قيادي بسبب حقد وغل وحسد، أو تصفية حسابات أو الطمع في ذلك الكرسي أو المنصب، فإن القضاء والقدر في كل هذه الصور هو علم الله المسبق بما سيحدث فيترك الله الأمر تحت أمره ليراقب ويعاقب الجناة ويثيب المبتلى المجني عليه؛ لأن القضاء والقدر في مثل هذه الحالات قد وقع بسبب فعل مباشر من الإنسان وليس من الخالق.. فلم تكن مصيبة موت دون انتحار أو حريق دون قصد متعمد أو حادث تصادم بطريق الخطأ حتى نقول في النهاية إنه قضاء وقدر من البداية حتى النهاية فيتدخل الله عز وجل بإرادته وقدرته فيوقف بقية خطوات وأحداث وتطورات الجريمة عند حد معين ويمنع تحقيق النتيجة ويكشف المستور عن الحق والحقيقة.

ومن علامات القضاء والقدر أن الله عز وجل في بداية وقوع المصيبة يوقف تشغيل دائرة الفكر والذكاء لدى الإنسان المبتلى، فلا يستطيع الدفاع عن نفسه ويبرئ نفسه من التهمه في ذلك الوقت وذلك حتى يقع البلاء الذي وافق عليه رب العزة تبارك وتعالى إلى وقت معلوم وخطوات معلومة، ثم يعيد تشغيل دائرة الفكر والذكاء لدى الإنسان المبتلى بعد إفاقته من الصدمة الأولى فيدافع عن نفسه وتنزل براءة السماء فيبرئه القضاء العظيم، أو يشفى الله المجني عليه، أو يكشف السارق وتعود الأموال المسروقة إلى أصحابها، أو يحصل

المبتلى المجني عليه على تعويض مالي من الجناة المتآمرين بحرق المصنع أو المتجر.

وبعد... فإن الله عز وجل أمر رسوله بإرساء قواعد السلام على الأرض فقال عليه الصلاة والسلام في صحيح البخاري ومسلم:﴿**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**﴾.

وفي حديث أخر عن السلام:﴿**أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون جنة ربكم بسلام**﴾.

وفي حديث صحيح آخر:﴿**المسلم من سلم الناس من لسانه ويده**﴾ وفي البخاري ومسلم:﴿**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**﴾ فهذه هي التعاليم الإلهية والتي سنحاسب عليها يوم القيامة.. فما بال المتآمرين أصحاب التخطيط السيئ؟!! فما بال المتعلقين بالدنيا وحبها؟!! أين موقعهم من الإعراب في الدين والإنسانية والأخلاق؟ وما شكل ومنظر المتآمر بعد الشفاء من الابتلاء؟... أقول وبحق من باب الأمانة العلمية والدينية إنه الندم والألم لمن يملك الإحساس... والغفلة والضياع لمن يفقد الإحساس... فهم أشر خلق الله، وأسوأ شريحة في المجتمع الآمن.

سـؤال

يسأل أحد المبتلين عن أجر الصبر على الابتلاء والرضا بحكم الله

عز وجل وقال: هل الأجر والثواب يكون للمبتلي وحده الذي أصيب بالقضاء والقدر؟ أم يشمل الأجر من يشاركه الحياة الدنيا؟

والإجابة من عند الله وتوفيقه وإلهامه فنقول: إن حكم القضاء والقدر واقع على الطرفين، ولكن يرتفع أجر المصاب شخصيًا في ذاته بأكثر ممن تأثر من حوله سواء أكان التأثر ماديًا أم معنويًا.. فإذا توفي راعي الأسرة تحملت الزوجة المسئولية من بعد وفاته، وكل من كان له علاقة وطيدة أو علاقة قرابة أو نشاط عمل به فكل منهم له أجر الصبر بمقدار درجة التأثير فيه وعليه.. وعلى العكس من ذلك فإذا توفيت الأم أو الزوجة، وكانت المصيبة بابتلاء الموت بسبب مرض أو تهمة أو شائعة كاذبة، فإن أجر الصبر يقع على من تأثر بهذا الابتلاء كلاً على قدر العبء الذي تحمله، وأن الله وحده هو الذي يملك ميزان توزيع الأجر والثواب.

سؤال هام جدًا جدًا:

اشتعال ثورة ٢٥ يناير المصرية وسقوط نظام مبارك حدث ووقع وهو قضاء الله وقدره؟

لقد قدر الله عز وجل في الوقت الذي رأى فيه الخطر القادم على هذا الشعب الطيب المبارك والذي يعيش على أرض المحروسة

المقدسة والتي كرمها الله في كتابه العزيز، ومجدها رسول الله ﷺ وحيًّا جنودها الأبطال.. فقام المولى عز وجل بتوزيع الأدوار أخذًا بالأسباب بتظاهرات الحركات السياسية الحزبية والشعبية بأنواعها وزعماءها قبل الثورة.. ثم اندلاع الثورة بأن أعطى الله الشباب المثقف الواعي الجريء القوة والعزيمة، وانتزع من صدورهم الخوف وأيد الزعماء السياسيين الوطنيين بمدد من الجرأة والتعايش وسط الثوار في الميدان ثم التحمت التيارات الإسلامية بالثورة ومساندتها وساعدتها وأعطى الله الحكمة للمجلس الأعلى للقوات المسلحة، فوقف بجانب الثورة ولم يحرمها من التعبير والحرية، ومن ثم فإن الثورة قامت بتدخل إلهي أي أنها قضاء وقدر، أي أن الله حكم بإسقاط النظام فوزع الأدوار للأخذ بالأسباب.

* * *

في معجزات الأنبياء
وكرامات الأولياء..
ومكانة العلماء

الإسلاميـــة العالميــة
للدعـــوة

في معجزات الأنبياء . . وكرامات الأولياء . . ومكانة العلماء

تعريف النبي:

هو إنسان من ذرية آدم عليه السلام، كما أن آدم عليه السلام هو أول نبي مرسل كما قال المصطفى ﷺ في الحوار الذي دار بينه وبين عبد الله بن سلام.. فلم يختار الله نبيا أو رسولا من الملائكة.. وهذا النبي مكلف من قبل الله بنشر الدعوة إلى عبادته وتوحيده، ويحدث الناس ويخبرهم بالله الخالق.. الواحد الأحد.. الفرد الصمد.. لا شريك له في الملك وليس له ولد.. له الدنيا والآخرة.. يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير.. والأنبياء والرسل لهم من المعجزات ما تؤيد دعوتهم إلى التوحيد.. ومن الأنبياء ما أخبرنا الله عز وجل عنهم في كتابه العزيز، ومنهم من لم يخبرنا عنهم.. والنبي ينبئ عن الله عز وجل ولكنه لا يحمل رسالة.

تعريف النبي المرسل:

هو بشر نبي مرسل وليس ملكا مقربا.. يختاره الله من بين عباده في فترة من الزمن ليدعو إلى عبادة خالقهم وتوحيده واتباع تعاليمه بالأوامر والنواهي التي تضمنتها الرسالة التي أرسلت إليه باتباعها دون غيرها في ذلك الزمان، ثم يعدلها الله ويطورها في زمن آخر لاحق على نبي مرسل جديد.. وكان آدم عليه السلام هو أول نبي مرسل، فلما اختلف القوم فيما بينهم بعد أن كانت دعوة مستقرة وهادئة، وقال ابن عباس رضي الله عنه : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم

على شريعة واحدة فلما اختلفوا أرسل إليهم رب العزة تبارك وتعالى سيدنا نوحًا، فكان أول نبي مرسل بعد الاختلاف ومن بعده الأنبياء والرسل، وقد أرسل الله الأنبياء المرسلين بعزيمة قوية في التحمل والصبر في تبليغ الدعوة إلى الله وكان أعظمهم عزيمة وقوة خمسة أنبياء أولى العزم من الرسل: نوح عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام، وموسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام، ومحمد بن عبد الله ﷺ.

وأما إمام الأنبياء وسيد المرسلين فهو رسول الله ﷺ الذي صلى بالأنبياء إماما في ليلة الإسراء والمعراج في المسجد الأقصى قبل أن يعرج به إلى السماوات العلا في ضيافة النور الإلهي ولقاء الله عز وجل الذي كلمه مباشرة دون حجاب وأمره بالصلاة خمسين مرة في اليوم فلما أخبره موسى عليه السلام وهو عائد إلى السماء السادسة بأن قومه أتعبوه وشاقوا عليه فجاهد فيهم ولم يطيعه إلا قليلا منهم وقال له ارجع إلى ربك واسأله التخفيف، فعاد الرسول ﷺ وطلب منه التخفيف فجعلها أربعين وأثناء عودته أخبر موسى بما تم فقال له موسى أنى جاهدت في قومي كثيرا وطويلا فلم يطعني إلا قليل منهم وقال له: ارجع إلى ربك واسأله التخفيف وعاد الرسول مرة أخرى وظل هكذا صعودا وهبوطا بين السماء السادسة وبين بساط الأنس مع النور الإلهي حتى أصبحت الصلاة خمس مرات في اليوم بأجر خمسين في الصلاة.

ولم يتحدث معه في شأن العبادات الأخرى غير الصلاة، وأما غير الصلاة فإنها كانت تنزل على الرسول ﷺ مع الأمين جبريل ما بين مكة والمدينة.

وقد سأل أشماويل بن سلام كبير علماء يهود خيبر وحبرهم الرسول عليه الصلاة والسلام في المسجد بالمدينة، وذلك لما أرسله اليهود ليمتحن الرسول ويسأله في ألف وأربعمائة مسألة من التوراة معلومة لديهم وأربع مسائل من الغوامض لم يتعرفوا عليها، فإن صدق محمد آمنوا به وإن تلكأ أو كذب فلن يصدقوه ولن يؤمنوا به، وذلك ردا على الرسالة، التي بعثها الرسول عليه الصلاة والسلام إليهم يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام بناءً على أمر الله تعالى الذي ألقاه الأمين جبريل إلى الرسول ﷺ بأن يبعث برسائل إلى كل ملوك ورؤساء الأرض من الكفرة والمشركين وإلى يهود خيبر.. فقال أشماويل من بين الأسئلة التي وجهها إلى الرسول: كم نبي بعثهم الله؟ فأجاب الرسول وقال: إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألفًا.. قال أشماويل صدقت يا محمد.. فكم رسول منهم؟ فأجاب الرسول ثلاث مائة وثلاثة عشر، أولهم آدم عليه السلام كان نبيا ورسولا. قال أشماويل: صدقت يا محمد.. إلى آخر الحديث والحوار الذي أسلم في نهايته أشماويل وسماه الرسول بعبد الله بن سلام وهللت الصحابة وكبرت.. وأن إجابة الرسول ﷺ عن أشياء غيبية إنما هي من معجزات الأنبياء والمرسلين التي لا يمنحها الله لأحد إلى لهم، أما الأولياء الصالحون فإن الله يمنحهم كرامات فقط وليست

معجزات، وتتناسب فيه الكرامة وقدرها مع قدر مكانة الولي عند الله.

(تعريف معجزات الأنبياء والرسل):

المعجزات هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، وهى إما حسية تشاهد بالبصر وإما هي معنوية تشاهد بالبصيرة كالقرآن الكريم، كما أن معجزات الأنبياء والرسل عديدة وكثيرة وعظيمة، وأهم هذة المعجزات هي القرآن الكريم الذي أنزله الله عربيا وبالفصحى على رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ.. نزل على محمد وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب في عهد كثر فيه الشعراء والأدباء، وكانوا يتغنون بقصائدهم الدافئة بالكناية والبلاغة والاستعارة واختيار الألفاظ الرنانة التي تؤثر في الوجدان، وكان الشعراء من العرب يأتون من كل جانب إلى مكة في موسم إلقاء الشعر والقصائد.. فجاء القرآن على محمد وبه خبر ما قبلنا، وحال ما بيننا، ونبأ ما بعدنا.. فما استطاع هؤلاء الشعراء أن يأتوا بمثله أو سورة منه أو آية صغيرة.. وقفوا أمام هذا الأعجاز الإلهي لغة وألفاظ وكلمات ومعاني، وموسيقى روحانية في سرده فأسلم الطفيل بن عمر الدوسي وهو شاعر من دوسة، والقرآن جاء بحقائق غيبية عن الدين والدنيا، فتوقف أمامها العلماء كثيرا من الجوانب العلمية وإجراء أبحاث في الفضاء والبحار وتحت الأرض وفوق الأرض وتجارب علمية على كل الكائنات الحية فيكشفون ما بداخل الإنسان من أسرار وما يكتشفونه إلا قليل.

وفي عام ٢٠٠٩ توصلت الأجهزة العلمية الحديثة إلى معرفة النجم الثاقب وتم تصويره وهو يثقب نجم آخر من صدره وينفذ من ظهره، والنجم الذي يدور حول نجم آخر، وأيضا اكتشاف البحر المسجور والذي أتى به القرآن الكريم وتحدث عنه الرسول ﷺ منذ ألف وأربعمائة وثلاثون عاما وهو مكان بالبحار والمحيطات به بركان في قاع البحار والمحيطات وتندلع النار فيه ولا تنطفأ وقد تم تصويرها وسط الأعماق.. هذا فالكتاب والسنة متلازمان، والسنة مكملة للقرآن وشارحة له، فالقرآن والسنة المحمدية كشفا عن الإعجاز العلمي الإلهي في الحياة الدنيا إلى يوم القيامة وهذا على سبيل المثال وليس الحصر..

فالقرآن به الإعجاز العلمي الإلهي يزال وسيزال الاكتشاف بما أفصح عنه القرآن إلى يوم الدين، وليس هذا مجال التحدث عن الإنجازات والاكتشافات العلمية التي وردت بالقرآن والسنة المحمدية.

والسنة المحمدية هي المعجزة الأخرى بعد القرآن وكلاهما صالحان لكل زمان ومكان فقال النبي منذ ألف وأربعمائة وثلاثون عاما في حديث عن البحر المسجور، " لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله، فإن تحت البحر نارًا وتحت النار بحرا "، تهذيب سنن أبي داود.

ومعجزة سيدنا يونس عليه السلام الذي ترك بلده وقومه مغاضبا ويأسه من عدم إتباعهم الطاعة والعبادة، ولم يستأذن ربه في

المغـادرة، وركـب السـفينة مـع قـوم مسـافرين، فلمـا اشـتدت الريـاح وارتفعت الأمواج تعرض المركب للغرق فأجروا القرعة فيما بينهم، وفـي المرة الثالثـة وقعت القرعـة علـى سيدنا يونس فـألقوه من فوق المركب فابتلعه الحوت، فسبح في ظلمات الليل وظلام بطن الحوت وظـلام أعمـاق البحـر وقـال: لا إلـه إلا أنـت سبحانك إنـي كنـت مـن الظـالمين، فـأمر الله الحـوت أن يطـرده مـن بطنـه ويقـذف بـه إلــى الشـاطئ ويقـول الحـق فـي كتـاب الحـق:{فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾} [الصافات: ١٤٥ - ١٤٨]، وشجرة اليقطين هي شـجرة قـرع العسـل فأوجـدها الله لتحمـى سـيدنا يـونس مـن العـراء ويتغذى من ثمارها.

ومعجزة سيدنا نوح بصناعة أول سفينة ضخمة تسير علـى المـاء ونزول الماء الغزير من السماء ومن كل جانب حتى أغرقت الأرض والجبـال وارتفعـت السـفينة فـوق المـاء، ونجـى نوحًـا ومـن معـه مـن المؤمنين الذين ركبوا معه السفينة، وغرق أعداء نوح وابنـه الـذي لـم يستمع إلى نصحه وقال عنه رب العزة في كتابه:{قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾} [هـود: ٤٣]، والمعجـزة الثانيــة: أن الله أعطاه من العمر تسعمائة وخمسون سنة يدعو النـاس إلـى عبـادة الله وتوحيده، كما جاء في القرآن الكريم؛ وجـاء فـي كتـاب ابـن كثيـر أن سيدنا نوح عاش أكثر من ثلاثمائة عام قبل الرسالة ثم عاش تسـعمائة

وخمسون عامًا في تبليغ الرسالة، ثم أربعمائة عام بعد التبليغ فيكون عمره كله ألف وأربعمائة عام.

ومعجزة السحر لسيدنا موسى.. وكان الناس يعملون بالسحر ويشتهرون به فسحقهم موسى بأن ألقى عصاه على الأرض وإذا بها حية تسعى وتبتلع ثعابين السحرة كلها، فآمن السحرة بمعجزة سيدنا موسى وتفوقه عليهم واستجابوا لدعوته إلى الله.. ومعجزة أخرى لموسى لما ضرب البحر بعصاه فانفلق وغرق فرعون وهامان وسار موسى ومن معه على اليابس ونجوا من فرعون وآله.

ومعجزة داود وسليمان عليهما السلام وقد علما منطق الطير.. وسخر الله لسليمان الريح وسخر له الجن فمنهم من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك من محاريب وتماثيل وقدور راسيات.

ومعجزة خلق عيسى عليه السلام بدون أب من أمه مريم العذراء لما أرسل الله إليها الملك يحمل نفخة من روحه وألقاها في مكانها فحملت به.. كذلك خلق آدم بدون أب وبدون أم ونفخ الله فيه من روحه بعد أن شكله بيديه من تراب الأرض جميعا.. فخلق آدم كخلق عيسى.. ثم أتاه الله معجزة إحياء الموتى وشفاء الأبرص والأكمه بأمره وإذنه..

ومعجزة سيدنا يوسف لما أرسل قميصه مع إخوته إلى أبيه فأبصر، وهى معجزة مشتركة بين يوسف عليه السلام ويعقوب عليه السلام.

ومعجزة سيدنا إبراهيم في ذبحه أربعة من الطير وتقطيعهم وتوزيعهم على كل جبل ثم دعوته لهم فيأتونه على وجه السرعة، وجاء القرآن الكريم ليحكى هذه القصة فقال:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾} [البقرة: ٢٦٠].

أما الكرامات التي يشترك فيها الأنبياء مع الأولياء، وهى التي تأتيهم من الله ولم يفعلوها كالنار التي جمع الكفار حطبها ووقودها في ثلاثة أشهر وأوقدوها وصارت عالية وهائجة وألقوا فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن أوثقوا يداه وقدماه، وجاء الأمين جبريل عليه السلام وقال له: أليس لك حاجه عند الله؟ قال إبراهيم: أما أنت فلا، وأما الله فهو أعلم بحالي عني، وغني عن سؤالي، فأمر الله النار بأن تكون بردا وسلاما على إبراهيم، فلما انتهت النار وانطفأت وجدوا سيدنا إبراهيم على قيد الحياة ولم تحرقه النار ولم تحرق ثيابه ولم تمسه بسوء في جسده ولكنها أحرقت القيود والوثاق التي ربطوا بها يداه وقدماه.. وهذه المعجزة وقعت لأبي مسلم الخولاني، لما قال له الأسود العنسي مدعي النبوة: أتشهد أنى رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم..، فأمر الأسود العنسي بنار، فأوقدت له، وألقى فيها أبو مسلم الخولاني، فجاؤوا إليه فرأوه يصلى فيها، وقد صارت عليه بردا وسلاما.. فقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ وأخذه عمر فأجلسه بينه وبين أبي بكر، وقال: الحمد

لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم.

ومعجزة سيدنا أيوب عليه السلام لما اشتد عليه المرض ثماني عشرة عاما وكان صاحب أملاك فضاعت كلها وفقد ابنه، فلما صبر ونجح في الامتحان اشتكا إلى الله ولم يشكوا إلى خلقه.. وقال رب العزة تبارك وتعالى عنه في كتابه:{ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾} [ص: ٤١ - ٤٣].

وهكذا اشتكى أيوب إلى ربه ولم يشتك منه، فقال له رب العزة تبارك وتعالى: اضرب برجلك الأرض يخرج منها ماء طهور فاشرب منه واغتسل فيبرأ جسدك من الخارج ويبرأ مرضك من الداخل، فنفذ أمر الله له فشفى وكانت المعجزة بتعويض الله له بالصحة مرة أخرى والمال وتعويض ابنه وأهله.

... وهكذا تكون معجزات الأنبياء مادية ومعنوية، فالقرآن معجزة معنوية تحس ولا ترى، والسنة المحمدية معجزة مادية ومعنوية إما انشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابع الرسول وتسبيح الحصى في يديه، وأنين جزع النخل، ومنبره القديم لما تركه وصعد المنبر الجديد، وتكليم الشاة له وهى مذبوحة وقالت له: لا تأكل في يا رسول الله فإني مسمومة، وكان طهيها من صنع امرأة يهودية، وكثيرا من المعجزات التي حصلت للرسول عليه الصلاة والسلام ولا يتسع المجال لذكرها الآن وهى المعجزات المادية، وأن أعظمها حديث

البحر المسجور ويستحق الحديث عنه تفصيلا فهي من المعجزات الحسية.

ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) الجزء الثاني: معنى كون البحر جهنم " أن البحر يسجر يوم القيامة ويكون من جملة جهنم ".. وهذا الحديث يتفق مع قول الله تعالى:{وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾} [الطور: ١ - ٨].

ولم يستطع العرب في وقت ينزل فيه القرآن الكريم أن يستوعبوا دلالة القسم بالبحر المسجور لأن عندهم سجر التنور يعنى أوقد عليه حتى أحماه والماء والحرارة من الأضرار.. فالماء يطفأ الحرارة والحرارة تبخر الماء فكيف تتعايش الأضرار في تلاحم وثيق دون أن يلغى أحدهما الآخر؟ وقد دفعهم إلى نسبة الأمر إلى الآخرة إسنادا إلى ما جاء في سورة التكوير من قول الحق تبارك وتعالى:{وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾} [التكوير: ٦].

ولكن الآيات في مطلع سورة التكوير كلها تشير إلى أمور مستقبلية في الآخرة والقسم في مطلع سورة الطور كله بأمور واقعة في حياتنا، فحديث الرسول ﷺ يؤكد على (أن تحت البحر نارا وتحت النار بحرًا) والرسول لم يركب البحر في حياته الشريفة مرة واحدة.. إذن فمن الذي أعلمه بذلك؟، إنه علام الغيوب خالق الأرض والسماوات ومن عليها ومن فيها لعلمه المسبق وعلمه المحيط أن الإنسان سيكتشف هذه الحقيقة الكونية والمبهرة في يوم من الأيام

فأنزلها في كتابه الكريم وعلمها لخاتم الأنبياء والمرسلين، لتبقى شهادة عيان أبد الدهر على أن القرآن هو كلام الله تعالى الخالق، وأن هذا النبي الخاتم الذي تلقاه كان موصولا بالوحي ومعلما من قبل الخالق الذي وصفه بقوله:{ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾} [النجم: ٣].

وبعد الحرب العالمية الثانية نزل العلماء إلى أعماق البحار والمحيطات بحثا عن ثروات معدنية التي استنفذت احتياطها أو قاربت على النفاذ من على اليابسة في ظل الحضارة المادية المسرفة التي يعيشها إنسان اليوم. ففوجئوا بسلسلة من الجبال البركانية تمتد في أوساط جميع محيطات الأرض لعدة عشرات الآلاف من الكيلو مترات أطلقوا عليها اسم (جبال أواسط المحيطات).

... وبدراسة تلك السلاسل الجبلية المحيطة اتضح أنها تتكون في غالبيتها من الصخور البركانية التي اندفعت على هيئة ثورات بركانية عنيفة وتتركز في قيعان المحيطات وبعض البحار، وتوجد هذه الصخور في حالة لدنة شبه منصهرة عالية الكثافة واللزوجية تدفعها تيارات الحمل الساخنة إلى قيعان كل محيطات الأرض وقيعان بعض البحار مثل البحر الأحمر، وذلك في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية وذلك بملايين الأطنان فتدفع بجانب المحيط أو البحر يمنة ويسرة في ظاهرة يسميها العلماء ظاهرة اتساع قيعان البحار والمحيطات.

والعجب العظيم أن الله سبحانه وتعالى جعل الماء يغطى ٧١% من كوكب الأرض وجعل له منسوبا ثابتا في الاتزان بحيث لا يفيض

في المحيطات والبحار ويخرج على اليابس فتغرق الأرض ومن عليها.. وهنا نقف ونقول سبحان الله!! سبحان الله في الوجود!! سبحان الله الخالق المعبود!! اللهم ارحم ضعفنا وتولى أمرنا واجبر كسرنا.

فيا لعظمة أسرار الكون الإلهي التي كشف عن بعضها لنبيه فإن كان القرآن معجزة لأنه من عند الله فالسنة أيضا المعجزة الثانية بعد القرآن لأنها من عند الله.. قال تعالى:{ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ } [الطور: ٦ - ٧]، والسجر: كما جاء في لسان العرب هو: البحر يسجر فيكون نار جهنم.

والبحر كما جاء عن كعب هو: جهنم تسجر وتسعر. ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام في حديثه الشريف:﴿**لم يخلقني الله لأنقل إليكم القرآن من عنده، ولكن الله أتاني الكتاب وأنا مثله معه**﴾.. والقرآن الكريم يؤيد الرسول في ذلك:{ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ } [المائدة: ١٥]. نور هو محمد وكتاب الله هو القرآن الكريم، وأيضا:{ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [التغابن: ٨]. أي إعجاز كهذا..{ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ } [الطور: ٣٤]، ويقول رب العزة تبارك وتعالى:{ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ } [هود: ١٣]. ويقول أيضا:{ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } [الإسراء: ٨٨]. فهو قرآن إذا قرأته يشفى الصدور.. وإذا تدبرته تجد فيه حلا للأمور.

وإذا علمت به تجده تجارة لن تبور.. فسبحان الذي أنزله عربيا غير ذي عوج لمن ضاقت به الصدور... إن فيه آيات لكل صبار شكور.. وفيه الحق والهدى، ورحمة وبشرى، وتحذير من الدنيا والغرور، وفيه الموت والبعث والحساب، وفيه الجنة والنار، فإما راحة وإما عذاب.

تعريف الولي:

أولياء الله هم كل من آمن بالله ويتقيه ويتبع رسوله ﷺ وقال تعالى: {أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: ٦٢]، ثم بينهم فقال:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾} [يونس: ٦٣]، الآيات، وقال تعالى:{ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ} [البقرة: ٢٥٧]، الآية وقال تعالى:{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾} [المائدة: ٥٥ - ٥٦]، وقال النبي عليه الصلاة والسلام:《**إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون**》.. وقال الإمام الشافعي رحمة الله عليه: (إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه ولا تفتروا به حتى تنظروا متابعته للرسول عليه الصلاة والسلام).

... ويعرف أهل الجنة من أهل النار لمن استفاض عند أهل الأمة أنه رجل صالح كعمر بن عبد العزيز، والحسن البصري وغيرهما كثيرون.. وكان أبي ثور يشهد لأحمد بن حنبل بالجنة، وقد جاء في

الحديث الصحيح لأحمد في مسنده قال رسول الله ﷺ :﴿**يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار**﴾، قالوا بماذا يا رسول الله؟ قال:﴿**بالثناء الحسن، والثناء السيئ**﴾.. وفي الصحيحين: أن النبي ﷺ مر عليه بجنازة فأثنوا عليها الصحابة خيرا فقال:﴿**وجبت وجبت**﴾ ثم مر عليه بجنازة أخرى، فأثنوا عليها الصحابة شرًا، فقال:﴿**وجبت وجبت**﴾.. فقيل يا رسول الله ما قولك وجبت وجبت؟ قال:﴿**هذه الجنازة أثنيتم عليها الخير فقلت: وجبت لها الجنة، وهذه الجنازة أثنيتم عليها شرا فقلت وجبت لها النار أنتم شهداء الله في الأرض**﴾.

والولي هو من يوليه الله أمرا من أجل قيامه بدور خاص لذكر الله وعبادته، ثم يتولى هذا الولي دعوة الناس إلى عبادة الله وتوحيده.. وقد سئل أستاذنا إمام الدعاة الشيخ الشعراوي رحمة الله عليه كيف تعرف أولياء الله؟ قال: باختصار شديد إذا رأيتموهم وجدتموهم يذكرون الله، ويذكرون به الناس.. فأولياء الله مخلصين لله وليسوا منافقين له، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.. يألمون لألم المساكين، ويتوجعون لوجع المحتاجين، ويهتمون بمرض المبتلين، ويسعدون لفرح الصالحين.

ويقول العارف بالله: إن أولياء الله يدعون إلى الله ويتقوه، ويتمنون دخول الإيمان والإسلام الحق إلى قلوب الناس جميعا على وجه البسيطة.. وأن أولياء الله لا يخافون في الحق لومة لائم لأنهم يخافون عذابه.. وأولياء الله يزهدون ممتلكات الدنيا وهى في أيديهم، ويزهدون ما في أيدي الناس.. وأولياء الله الصالحين لهم كرامات ولا

يكون لهم معجزات كالأنبياء إلا من شاء ربى ورضي له بذلك، والأولياء يعرفون الكرامات بوقوعها، ويستشعرون بتمامها ولا يكشفون عنها بتواضع جم، إلا أنه يستشعر بحدوث الكرامة من يلازم الأولياء في حياتهم الدنيا.. وقد تحدث الكرامة على الملأ وهو ما سنتعرض له تفصيلا، وقد تحدث خفية..

حكم كرامات الأولياء:

كرامة الأولياء هي حق وهو ظهور الأمر الخارق على أيديهم الذي لا صنع لهم فيها فقد يأتونها بالتحدي وقد لا يأتونها بالتحدي، بل يجريها الله على أيديهم وإن لم يعلموا كقصة أصحاب الكهف وأصحاب الصخرة وجريج الراهب وكلها معجزات لأنبيائهم، ولهذا كانت في هذه الأمة أكثر وأعظم الكرامات لعظم معجزات نبيها وكرامته على الله عز وجل، كما وقع لأبى بكر في أيام الردة وكنداء عمر لسارية وهو على المنبر فأبلغه وهو بالشام وكتابته إلى نيل مصر فجرى وكخيل العلاء ابن الحضرمي إذ خاض بها البحر في غزوة الروم، وكصلاة أبي مسلم الخولاني في النار التي أوقدها له الأسود العنسي وغير ذلك مما وقع لكثير منهم في زمن النبي ﷺ وبعده في عصر الصحابة والتابعين له بإحسان ومن بعدهم إلى الآن وإلى يوم القيامة، وكلها في الحقيقة معجزات لنبينا ﷺ لأنهم إنما نالوا ذلك بمتابعته فإن اتفق شيء من الخوارق لغير متبع النبي فهي فتنة وشعوذة لا كرامة؛ وليس من اتفقت له من أولياء الرحمن بل من أولياء الشيطان والعياذ بالله.

وكما تظهر الكرامات في الواقع فإنها تظهر أيضا في الرؤيات الصالحة، وتختلف الدرجات والقيمة والمكانة بما يتناسب بقدر وقيمة ودرجة الولي عند الله.. وإذا تعمد الولي بأن يأتي بكرامة وبدأ في استدعائها ولن تأتيه هذه الكرامة فيكتشف أمره بأنه ليس وليا؛ لأن الولي بطبيعته متواضع لله ويعلم تماما بأن كل شيء بأمر الله وبإذن مراده، والولي الصالح والصادق الحقيقي قد يستدعى الكرامة من الله بالدعاء والرجاء حال مواجهة الشدائد بنزول ابتلاء أو محنة أو أزمة أو مصيبة بالتحدي لنصرة الله فيجيبه الله وتأتيه الكرامة بالصورة والشكل التي يريدها الله عز وجل، وقد تأتى الكرامة من الله عز وجل في الوقت المناسب دون دعاء أو رجاء، ويقول المصطفى ﷺ في حديثه الشريف:﴿**رب أشعث أغبر ذو تمرة لا يأبه له الناس، لو أقسم على الله لأبره بما أقسم عليه**﴾.. وفي الصحيح أنه قال:﴿**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**﴾.. فذلك نتيجة إخلاص الأولياء لله ومن ثم وجب حب الله لأوليائه.

والكرامات والمعجزات للأنبياء والأولياء كثيرة جدا لأن المعجزة للأنبياء فقط، والاستثناء من عباده الصالحين، حتى يؤمن الناس برسالة النبي صاحب المعجزة، وكرامة الأولياء ليزداد الناس إيمانا بالنبي المرسل في عهده والشريعة التي أرسلت معه، ومن كرامات ومعجزات أولياء الله الصالحين في عهد سيدنا موسى عليه السلام وقد قص القرآن الكريم عن سيدنا الخضر ولم يخبرنا عما إذا كان نبيا أو وليا صالحا أو عبدا ربانيا ويعطيه الله من علوم الغيب ما لم

يعطه لموسى عليه السلام نبي الله وكليمه ومن الأنبياء الخمس أولى العزم من الرسل.. فقد توضأ موسى وصعد الجبل ليكلم رب العزة تبارك وتعالى وقال: يا رب لقد ألقيت خطبة اليوم في بنى إسرائيل فأوجعتهم وأبكيتهم جميعا، فهل يوجد في المدينة من هو أفقه منى؟.. فعلم الله بعجب النفس والغرور من موسى وهو أعلم لأنه هو الذي خلقه وشكله وهيأه للنبوة والرسالة، فقال له رب العزة تبارك وتعالى: اذهب يا موسى عند الخضر وتقابل معه، والتقى موسى بالخضر:{ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾} [الكهف: ٦٦ - ٦٩].

فقص علينا القرآن ثلاثة مخالفات ارتكبها الخضر في ظاهرها السوء والكفر وفي باطنها الرحمة والحسنى: فخرق السفينة وأصحابها مساكين، وقتل الغلام، وأقام الجدار في قرية بخل أهلها تقديم الطعام لهما.

فسأله موسى في التهمة الأولى، فقال له الخضر: وأما السفينة فهي لصيادين مساكين وكان لهم ملكا غاصبا يغتصب كل سفينة فأردت أن أعيبها حتى لا يستولي عليها ذلك الملك.. قال موسى للخضر سأصبر على التعلم ولن أسألك مرة أخرى؟

فسأله موسى في التهمة الثانية، فقال له الخضر:{ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾} [الكهف: ٨٠ - ٨١]..

فتفكر وتدبر موسى ولم يتكبر، ثم قال موسى للخضر سوف أصبر ولن أسألك مرة أخرى.

ثم عاد موسى للخضر وسأله في المخالفة الثالثة: واتهمه فيها بعدم رجاحة العقل، فقال له الخضر: وأما الجدار فكان تحته كنز لولدين يتيمين فأردت إقامته حتى يحمى ويستر الكنز لحين أن يكبر الولدان فيأخذانه ولا يستولي عليه أحد.. وهكذا كانت المعجزة بعلوم هذه الغيبيات التي لم يعلمها موسى كليم الله وعلمها الله للخضر وهو عبد من عباده الصالحين.

وكثيرا ما أعطانا القرآن على لسان النبي العدنان علوم غيبية كثيرة، ومازال البحث يجرى على أيدي العلماء ليكتشفوا حقيقة هذه الغيبيات العلمية وغيرها:{وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا} [الإسراء: ٨٥]،{وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا} [طه: ١١٤]،{وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ} [يوسف: ٧٦]، {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ} [البقرة: ٢٥٥]، آية الكرسي.

أما كرامات الأولياء التي ظهرت بعد وفاة الرسول ﷺ على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، عندما حوصر المسلمون بالشام وكان عمر بن الخطاب يخطب في المسلمين من على منبر فأتاه خبر حال جيش المسلمين وأنهم على وشك وقوع الهزيمة بهم فنادى من على المنبر بصوته وقال: يا سارية الجبل.. هو يخاطب قائد الجيش سارية بأن يصعد الجبل حتى ينجوا من الحصار فنقلت الملائكة صوت عمر بن الخطاب إلى قائد جيش المسلمين فصعد بالجيش إلى أعلى الجبل فانفك الحصار عنه..

وقال عنه المصطفى ﷺ في صحيح البخاري ومسلم:﴿لقد كان فيما قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر﴾.

وهذا عبد الله بن المبارك حينما أعد نفسه لأداء فريضة الحج، وتعرفت صحبة الجماعة الذين سيؤدون الفريضة على أفرادها.. وإذا بعبد الله بن المبارك يمر على الطريق فوجد امرأة تمسك ببطة ميتة من كوم النفايا والبقايا وتقوم بتنظيفها فقال لها عبد الله بن المبارك: ماذا تفعلين يا امرأة؟ أتأكلين الميتة؟!.. فقالت له المرأة: والله لو علمت ما سألت!!.. فقال لها: ماذا تقصدين؟.. قالت: إن لي زوجًا توفى وترك لي أربعة من البنات جوعى غير قادرين، ولا يوجد لي عائل ولا معين سوى أحكم الحاكمين، فدلني الله على فعل ذلك وعلمت أن الضرورات تبيح المحظورات.. فبكى عبد الله بن المبارك بكاءً مرا وأخرج من حافظته مائة دينار من الذهب وقد أعدها لمصروفات ونفقات أداء الحج وأعطاها للمرأة وقال لها: هذا لك ولبناتك لمواجهة الحياة، وانصرف ابن المبارك واختفى بعيدا عن عيون الناس حتى يعود الحجيج بعد أداء الفريضة فيعود معهم، وظن الناس أنه سافر مع الجماعة لأداء الفريضة.

... فلما عادوا من أداء الفريضة ذهب الناس إلى عبد الله بن المبارك يباركونه فلم يفصح عن شيء حتى جاءت الجماعة وأخذ كل واحد منهم يذكره بما كان يفعلانه بالمسجد النبوي وفوق عرفات والكعبة إلى آخره، وابن المبارك يستمع إليهم في تعجب ودهشة ولم يجيبهم بشيء عن المرأة وبناتها والمائة دينار نفقات الحج..

ولما مضى عليه الليل فسأل الله عز وجل عن حقيقة ما رأته صحبة الجماعة أثناء أداء الفريضة وما حكوه عنه، وطلب من الله أن يعطيه دليلا أو برهانا عما إذا كان التصرف الذي قام به مع المرأة وبناتها خير له أم أنه كان يقتضي عليه أداء الفريضة أفضل ويتركهن لمولاهم؟.. فأراه الله رؤية طيبة وصالحة.. رأى الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يقول: أنا محمد بن عبد الله نبي الإسلام ورسوله في الدنيا وشفيعك في الآخرة.. يا بن المبارك لقد أكرمت المرأة وبناتها اليتامى المساكين فأكرمك الله، وفضلت الصدقة بألف دينار ذهب هي نفقات أداء فريضة الحج فأعطاك الله سبعين في الأجر والثواب من فريضة الحج وأوكل عنك ملكا يؤدى الفريضة بين أصحابك من الجماعة.. فقام عبد الله بن المبارك من نومه ساجدًا لربه.. شاكرا لنعمه وعلم أنه كان على الحق ولم يكن على الباطل..

يقول ابن المبارك بالكناية أن العبرة في القلب والظاهر معا وليس بالقلب فقط.. وأما بنعمة ربك فحدث.. لا تكن بخيلا على أهلك ونفسك وقد أعطاك الله الفضل والنعم فاركب أحدث السيارات والقصور وارتدى أحدث الأزياء وأفخم الثياب وتجول سائحا في بلاد الله.. فإن كل ذلك مباح شرعا لأن الله يسرها لتستعملها وتستخدمها وليس للادخار والتخزين، فلك أن تنعم بهذه المنح الربانية ولكن بشرط أن تعلم بأن هذه الملكية للأشياء ليست ملكا خالصا لك وإنما هي ملك لله وحده وإنما قد ائتمنك عليها، وأن الدنيا زائلة وسوف يسألك الله يوم القيامة عما فعلته بهذه النعم؟ هل استكبرت بها على

الناس وجعلت الدنيا في قلبك ولم تجعلها في يداك؟.. هل تعلقت بالدنيا ونسيت الآخرة والموت والقبر والحساب والجنة والنار؟.. هل أديت الزكاة؟.. هل أكثرت من الصدقات؟.. هل تعرفت على اليتامى والمساكين والمرضى غير القادرين والسائل والمحروم؟ هل حصلت على هذه الأموال من حلال أم حرام؟

هؤلاء هم أولياء الله الصالحين الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز الذي: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم: {أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾} [يونس: ٦٢ - ٦٤].

فالبشرى في الحياة الدنيا هي الكرامات التي تحدث بأمر من الله وهم يعلمونها ويحسون بها ويثقون فيها وفي محبة الله لهم، وأما البشرى في الآخرة فهي رضوان الله عليهم وتمييزهم بين الناس يوم القيامة، ترى وجوههم من نور، ويعرفهم الرسول عليه الصلاة والسلام بعلم الملك العلام وسيماهم في وجوههم من أثر السجود، ويسقيهم الرسول بيده الشريفة من الحوض شربة ماء لا يظمئون بعدها أبدا، ويفتح الرسول باب الجنة ويكونوا أول الداخلين معه من أمته، دون عتاب أو حساب أو عذاب.

هؤلاء هم أولياء الله الصالحون الذين قال في حقهم الرسول ﷺ في الصحيحين: «رب أشعث أغبر ذي تمرين لا يأبه له مدفوع بالأبواء لو أقسم على الله لأبره بها أقسم عليه» وقد ذكر الرسول هذا الحديث لما

أقسم أنس بن النضر أنه لا تكسر ثنية الربيع فاستجاب الله لذلك... وأيضا منهم البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، وكانوا إذا اشتد الحرب يقولون: يا براء أقسم على ربك، فيقسم على ربه فينتصرون.. والقسم هو من جنس الدعاء ولكنه طلب مؤكد بالقسم، فالدعاء يخضع السائل فيقول: أعطني، أما القسم فيقول: أقسم عليك لتعطيني، فهذه هي الثقة وحسن الظن والعشم في الله، وكلها كرامات روحانية يكرم الله بها عباده الصالحين.

الذين أنكروا كرامات الأولياء:

فريق من المعتزلة أنكروا كرامات أولياء الله الصالحين ومنهم أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو محمد بن أبي زيد وغيرهم.. وقال أبو محمد بن حزم أن المعتزلة ينكرون كرامات الأولياء إلا أنهم لا ينكرون الدعوات المجابة ولا ينكرون الرؤيا الصالحة الصادقة، وقال: أن هذا الخصوص متفق عليه من المسلمين، وهو أن الله تبارك وتعالى قد يخص بعض عباده بإجابة دعائه أكثر من البعض الآخر ويخص بعضهم بما يريد من المبشرات في الرؤيا الصادقة.. وقد كان سعد بن أبي وقاص معروفا بأنه مجاب الدعوة، والنبي ﷺ دعا إلى سعد وقال:﴿**اللهم سدد رقيته وأجب دعوته**﴾.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال:﴿**لم يبق بعدى من النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له**﴾.. وفي حديث آخر في صحيح البخاري ومسلم:﴿**ذهبت النبوات ولم تبق إلا المبشرات**﴾، قالوا: وما هي المبشرات يا رسول الله؟ قال:﴿**الرؤيا الصالحة يراها**

الرجل الصالح أو ترى له﴾.

أعداء أولياء الله الصالحين:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله قال:﴿من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب..﴾ والعداء هو شدة الخصومة ولها معاني كثيرة منها:

١ - من عادى أولياء الله الصالحين وجعل بينه وبينهم خصومة وآذاهم وأساء إليهم وذلك من باب الحقد أو الحسد أو الغل وتمنى زوال الولاية عنهم.

٢ - المنافسة في المعاملات الدنيوية التي تؤدى إلى الخصومة وتكون من الجانبين إلا أن أولياء الله تعالى يفترض فيهم الحلم عمن يجهل كما في كتاب الله عز وجل:{ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾} [الفرقان: ٦٣]. فالعداء يقع من غير الولي كعداء المبتدعين لأصحاب السنة المحمدية.

٣ - بُغض الفاسق الذي يرتكب المعصية مكايدة علنية ومعاندة أمام ولى الله دون أن يأبى بحساب الله وعقابه ودفاعه عن ذلك الولي.

٤ - قد يكون العداء على إطلاقه وفي العموم كعداء المشركين للمؤمنين، أو عداء أهل الكتاب للمسلمين إلا من استثنى من ذلك.

والولاية هي عكس البغض والكراهية والعداوة، وهى تقترن بالقرب والمحبة فلا بعد بين الولي وبين الله، ولا افتراق بين الولي

وبين الله.. ولا غفلة للولي عن ذكر الله، فهو متصل بالله عز وجل دائما وأبدا، ليلا ونهارا، قيامًا وقعودا وعلى جنبيه.. وأن الله دائما مع الولي يحفظه ويرعاه ويحميه إلا ما قضى الله عز وجل فيه أمرا، وقدره عليه ابتلاء ليرفع درجاته في الجنة.

أعمال وأفعال وأقوال الأولياء:

يقول أبي ذر ﷺ : أوصاني خليلي ﷺ :

١ - أمرني بحب المساكين والدنو منهم.

٢ - أمرني ألا أسأل أحدا شيئا.

٣ - أمرني أن أنظر إلى ما من هو دوني ولا أنظر إلى ما هو فوقى.

٤ - أمرني أن أصل الرحم.

٥ - أمرني أن أقول الحق وإن كان مرا.

٦ - أمرني ألا أخاف في الله لومة لائم.

٧ - أمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

٨ - أمرني أن لا أغضب لنفسي و أغضب لانتهاك حرمات الله.

ونحن نضيف من أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام:

١ - الزهد في الدنيا: بأن تزهد ما في أيدي الناس يحبك الناس، وتزهد ما في الدنيا يحبك الله.

٢ - أن تعفو وتصفح وتسامح من ظلمك وأنت قوى وليس ضعيفا.

٣ - تدعوا للسلام وليس للاستسلام فلا ذل ولا هوان لمسلم.

٤ - لا تكن قاسى القلب، واجعل فوق الانتقام الحب.

نفى معجزات مدعوا النبوة:

كان مدعوا النبوة يتعاملون مع الجن فيخبرهم بمعلومات وغيبيات وحركات خارقة للعادة لمن لا يتعاملون مع الجن، ولكنها أمور تتناقض مع النبوة وهؤلاء الكهان الفجرة من مدعي النبوة والذي حاربهم الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة من بعده وهم: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، والحارث الدمشقي، وبابا الرومي والمرأة المتنبية المشعوذة.

وأما خوارق الكهنة والسحرة الذين يتعاملون مع الجن تختلف تماما مع الشيء الخارق للعادة للأنبياء مثل السحرة وموسى لما أحضرهم فرعون ليعارض ما جاء به موسى، فقال موسى: ائتوني بالسحرة ومعهم كل خوارقهم، فلما ألقوا حبالهم كانت أفعى تسعى، فألقى موسى بعصاه على الأرض فكانت حية كبرى فابتلعت كل الحيات للسحرة، فعلموا بأن هذا الخوارق من جنس آخر غير جنسهم فآمنوا بالله وبموسى.. وذكرهم الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز أنهم قالوا: {ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾} [الأعراف: ١٢١ - ١٢٢].

وقال فرعون للسحرة عن موسى:{إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ} [طه: ٧١]. وهو تشبيه مع الفارق، فسحر السحرة من الجن وسحر موسى من الله، وهو الأقوى والأعلى وهو المنتصر بإذنه.. لأن السحرة الذين يتعاملون مع الجن يسحرون أعين المشاهدين، ولا يستطيعوا أن يخلقوا شيئًا خارقًا وفيه الإعجاز.. أما معجزة الأنبياء فإنها من الله فهو القادر على خلق الشيء الخارق للعادة، وهو القادر على تغيير الأشكال والأمور والأوضاع في غمضة عين وفتحها.

وجوب حب أولياء الله الصالحين:

إن حب أولياء الله الصالحين ضرورة إلزام على كل مسلم.. وأن التقرب إليهم حبا في الله؛ لأنهم أحبوا الله وأخلصوا له الدين والطاعة، ومن ثم فهو أمر واجب على كل مسلم مؤمن.. وأن كل قول مأثور إلا وله مدلول بالعقل الصحيح والرأي الصريح والفقه المريح.. وقد روى أن رسول الله ﷺ كان يجلس معه أحد الصحابة، فمر عليهما صحابي وألقى عليهما السلام واستمر في مشيه دون توقف، فقال الجالس مع رسول الله: يا رسول الله.. والله إني لأحب ذلك الرجل في الله.. فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام: وهل أعلمته بذلك؟ قال: لا.. قال له الرسول: إذن فقم وانهض وأخبره.. فأسرع الرجل خلفه حتى لحق به واستوقفه وقال له: أني أحبك في الله.. فرد عليه الصحابي قائلا بابتسامة عريضة وصافية. أحبك الذي أحببتني من أجله.. وعاد الرجل إلى رسول الله ﷺ مرة أخرى فسأله الرسول عما فعل، فقص عليه ما دار بينهما من حوار، فابتسم

الرسول عليه الصلاة والسلام حتى علت البسمة وجنتيه ثم قال:﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون**﴾.

حب أولياء الله والتقرب منهم فيه الربح وليس الخسارة فأنت تتعلم منهم الكثير من العلم الديني.. أن تطلب منهم الدعاء لك بظهر الغيب.. وبالجلوس معهم في ذكر الله ولا يكون بالغيبة والنميمة.. وإن كان أولياء الله الصالحين في رحمة الله ومعيته، فإن من يجلس معهم ينالون من شرف هذه المعية والرحمة والسكينة والفضل ولا يشقى من القوم جليسهم " صدق رسول الله ﷺ.. أما وإذا انتقل أولياء الله الصالحين إلى رحمة الله تعالى وغادروا الحياة الدنيا.. ودخلوا القبور.. وعاشوا حياة البرزخ فليس لك إلا أن تدعوا لهم ولا تطلب منهم شيئا على الإطلاق، لأنهم لا يستطيعون فعل شيء أو منع شيء.. فإذا سألت فاسأل الله.. وإذا استعنت فاستعن بالله.. وإذا توكلت فتوكل على الله.. واعلم بأن ما أصابك ما كان ليخطئك، وما أخطأك ما كان ليصيبك.. ويقول المصطفى ﷺ :﴿**واعلم بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء كان قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت الأمة على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء كان قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**﴾.

(دفن الأولياء بالمساجد):

أولا: إذا شيد المسجد وتم بناؤه وأصبح جاهزا لاستقبال المصلين فيه لأداء فريضة الصلاة فلا يجوز شرعا دفن أولياء الله الصالحين فيقول رب العزة تبارك وتعالى في كتابه:{ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ

ٱللَّهِ أَحَدًا} [الجن: ١٨].

ثانيا: إذا أقيم ضريح أو مقبرة لأحد أولياء الله الصالحين فلا يجوز إقامة المسجد على المساحة التي تدخل فيها مقبرة الولي أو الضريح.

ثالثا: إذا توافرت مساحة لبناء المسجد عليها وكانت هذه المساحة ضرورية وواجبة إلا أنه يقع عليها مقبرة أو ضريح الولي، فيجوز إقامة المسجد بعد عزل مساحة الضريح عن اتجاه القبلة ومكان الصلاة وغلق المنافذ والأبواب التي تطل على القبلة وساحة المسجد أثناء أداء فريضة الصلاة.

رابعا: لا يجوز للمسلم أن يؤدى فريضة الصلاة أمام الضريح مباشرة وبابه مفتوح برؤية العين.. وذلك ما انتهى إليه حكم جموع الفقهاء في الشرع الإسلامي.. حتى تؤدى فريضة الصلاة محاطة بالإخلاص والصفاء والخشية والخشوع والتقوى لله وحده، فلا انشغال بأحد معه وإلا وقع في الشرك الأصغر؛ لأن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد، لا شريك له في الملك ولا ولد، وهو الخالق الواجد الماجد، وهو العاطي، وهو المانع، وهو الرافع، وهو الخالق، وهو المعز، وهو المذل، وهو مالك الملك وصاحب الملكوت سبحانه وتعالى الحي الذي لا يغفل ولا ينام ولا يموت، بيده الدنيا والآخرة، والنار والجنة، وله الأبدية بالخلود.. فهو حي لا يموت.

خامسا: ليس حراما أو مكروها أن تؤدى فريضة الصلاة بمسجد وبه ضريح معزول عن مكان الصلاة كمسجد السيدة زينب أو الحسين أو الشافعي أو القناوي أو إبراهيم الدسوقي أو السيد البدوي أو حسنين أو العيسوي وغيرهم من الأولياء الصالحين ولكن بشرط أن الضريح مغلق أبوابه ومنافذه أثناء الصلاة على مساحة المسجد التي تقام عليها الصلاة، حتى لا ينشغل المصلون عن الخشوع في الصلاة لله وحده.. فأنت تذهب إلى مسجد الحسين أو السيدة زينب على سبيل المثال لتؤدى فريضة الصلاة لله وحده ولا يشغلك الحسين أو السيدة زينب.. فإن القوة الإيمانية في القصد والنية والعقيدة الإسلامية تجعلك بمنأى عن الشرك الأصغر إذا لجأت إلى ذلك المسجد دون النظر إلى التبرك وكرامة الولي.. وقال المصطفى العدنان في حديثه الشريف:﴿**جعلت لي الأرض طهورا ومسجدا فأيما رجل وقد أدركته الصلاة فيصلى**﴾. والنية عليها معول كبير بأداء الصلاة في مسجد به ضريح.. والنية هي التي تفصل بين المباح والمكروه والحرام.. وفي حديث البخاري ومسلم:﴿**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهو إلى ما هاجر إليه**﴾.

هل زيارة ضريح الولي حلال أم حرام؟:

الرسول عليه الصلاة والسلام لم يمنع زيارة القبور ولكن منع أداء الصلاة فيها... وقال في حديثه:﴿**ألا كنت قد نهيتكم عن زيارة**

المقابر ألا فزوروها، فإنها تذكركم بالآخرة﴾ حديث صحيح في البخاري ومسلم.. وبالقياس على ذلك فإن زيارة الأضرحة ليست مكروهة أو محرمة بشرط أن لا تنحني أمامه أو تقبل أعتابه أو كسوته، فلا تذلل ولا تضرع ولا انحناء إلا الله وحده عز وجل.. نعم لزيارة الأضرحة فإنها تذكرنا بالآخرة، وتذكرنا بالموت، وتذكرنا بمكانة المجاهدين في سبيل الله، وتذكرنا بحب أولياء الله الصالحين فلا نسيء إليهم ونتذكرهم بالعطاء في الجهاد ورضاء الله عنهم وبشرهم بالجنة في الآخرة لما قدموه من علوم وحسن العبادة.. فنعم لزيارة الأضرحة ولكن دون الطواف حولها فيقول الرسول ﷺ في حديث صحيح البخاري:**﴿لا طواف إلا حول الكعبة الشريفة﴾**.

هل النذور لأولياء الله الصالحين حلال أم حرام؟

النذور إلى أولياء الله الصالحين حرام، وشراء الشموع والبخور ووضعها في الضريح طالما توجد المصابيح والكهرباء اللازمة له حرام والذبيح من أجل مولد الأولياء حرام ولكنه حلال إذا ما قدم لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، ولا يكون النذر مشروط بمعنى أن لا تقول: إذا نجح ابني ذبحت بقرة، أو إذا وضعت زوجتي ولدا ذبحت كبشا أو إذا شفيت لي زوجتي من المرض ذبحت عجل جاموس.. إلخ ولكن الذبح يأتي تلقائيا بالقصد والنية لوجه الله دون شرط كشف الله الغمة، أو بعد أن منحك الله النعمة والفضل في تحقيق ما تمنيت.. وأما الدعاء والرجاء لأولياء الله الصالحين بالأضرحة فهو حرام وشرك أصغر، فكيف تطلب الأحياء من

الأمــوات، وينســون رب الأرض والســماوات، العــاطي الــرازق الوهاب، الضار النافع المانع، هو وحده.. أمره بين الكاف والنون إذا قـال للشـيء كـن فيكـون.. مالـك الملـك وصـاحب الملكوت سبحانه وتعالى الحي الذي لا يموت.

هل البهلول والعبيط والمجذوم الذي يجرى وسط الشوارع ولى؟

إن رأيت الرجل يمشى على الماء أو يطير في الهواء فاعلم أنه شيطان وليس وليا من أولياء الله الصالحين ما لم تعلم تتبعه الرسول ﷺ لأن الحركات والصور إنما هي من عمل الشيطان ليشغل الناس عن ذكر الله والابتعاد عن أصل التوحيد.. وإذا رأيت رجلا فاقد العقل ممسكا بعلم أخضر وعلى رأسه عمامة أو طاقية خضراء ويحمل شنطة معلقة برقبته وملابسه مرقعة وفي جيوبه عيش ناشف وملوخية ناشفة ومسبحة تشكيلية طويلة ولعاب يسيل من فمه والزوائد تخرج من أنفه بسيلان ويقول مدد.. مدد حى.. حى فلا تقول: أنه ولى ولكن عليك أن تعلم بأن هذا النوع هم خلق من أهل الجنة، لأن هؤلاء جميعا لم يفعلوا شيئًا ماديا ملموسا جهادا في سبيل الله والدعوة إليه والإخلاص في عبادته، وأنهم لا يفهمون الشرع والفقه وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف بحكم الابتلاء لهم بالصورة التي هم عليها.. ولا مسؤولية عليهم بالحساب على مخالفتهم بالأفعال في الحياة الدنيا، وقال ﷺ في حديث شريف في صحيح بخاري ومسلم: **﴿رفع القلم عن ثلاث: المجنون حتى يفيق والنائم حتى يستيقظ والصبي حتى يبلغ الحلم﴾**.

وأما تعليق الدكتور حنين عبد المسيح المؤلف والكاتب في شؤون الديانة المسيحية والذي كان يعمل شماسي سابق في الكنيسة الأرثوذكسية ويعمل حاليا بالكنيسة الإنجيلية وذلك في لقاء مع قسي أرثوذكسي على القناة التليفزيونية دريم ٢ برنامج الحقيقة في شهر يناير ٢٠١٠.. فماذا قال؟..

قال الدكتور: إنه ترك العمل بالكنيسة الأرثوذكسية وانتقل إلى الكنيسة الإنجيلية اعتراضا على أداء القداس بالكنيسة وروادها بأنهم يتضرعون ويركعون ويقدسون ويشركون مع الله في تألية السيدة مريم العذراء ويطلبون منها الأماني والحاجات وينسون وحدانية الله.. وقال أن هناك أمورًا أخرى تجرى بقداس الكنيسة الأرثوذكسية فيها الفساد في العبادة إلى الله وتوحيده.. وأشار إلى محدث العصر في الديانة المسيحية الأب متى المسكين الذي كشف أيضا عما يجرى في الكنيسة الأرثوذكسية وجاء ببعض ما كتبه من نقد ضد الكنيسة بأنهم أقروا في القرن الخامس على يد البابا كيرلس الأول قرارًا رسميًا بعبوديتهم للسيدة مريم العذراء وأنها والدة الإله مما ثلة بما اعتقده الفراعنة في إيزيس وحورس.

وأفاد الدكتور حنين عبد المسيح في حواره المثير حتى ظننت بداية أنه داعية إسلامي حيث قال: إن ظهور العذراء على الكنيسة الأرثوذكسية دون غيرها يرجع إلى عمل الشيطان أو بفعل فاعل باستخدام الليزر.. أو أنه نظرا لوجود خلاف بين الأرثوذكسي والإنجيليين، فأرادوا أن يقولوا إنهم الأفضل في العبادة عن الكنيسة

الإنجيلية ولذلك فإن العذراء لا تظهر إلا عندهم.. وقال لقد فر منهم إلى الإسلام وإلى الكنيسة الإنجيلية ووجه سؤالا إلى القس الأرثوذكسي لماذا لم تظهر السيدة مريم في المساجد أو الكنائس الإنجيلية؟: ثم فسر هو بأن الشيطان لا يستطيع أن يفعل ذلك بالأماكن التي تحسن العبادة وتفهم ألاعيب الشيطان ومكره ولا تعبد أحدا إلا الله ولا تقدس أحدا إلا الله..

ونحن نرى أن ظهور العذراء أو عدم ظهورها.. ومن رآها ومن لم يرها سواء كان صغيرا أو مسئولا كبيرا، فإن الله اصطفاها وفضلها على نساء العالمين، وأنها بشر من خلقه كسائر الخلق من روحه، فلا يجوز تقديسها من البشر حتى العبادة كما قال الدكتور حنين عبد المسيح فإن ذلك يعد شرك بالله أصغر.. وإنما علينا من الواجب نحن المسلمين والمسيحيين أن نحترم العذراء القديسة ونقدرها ونعطى لها بالا ونذكرها بالحسنى ولا نسيء إليها على الإطلاق فقد كرمها الله في الإنجيل والقرآن وأنه اصطفاها.. فلا يشغلنا الشيطان بألاعيبه ومكره عن توحيد الله وإشراك أحد في العبادة.. والحذر وكفى..

الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأفعال الصحابة على صحة وسلامة الصلاة بمساجد فيها قبور الأولياء والصالحين:

أولاً: القرآن الكريم:{فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا } [الكهف: ٢١]، وسياق الآية يدل على أن القول الأول هو قول المشركين، وأن القول الثاني هو

قول الموحدين، قال الإمام الرازي في تفسير:{لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا } [الكهف: ٢١]، نعبد الله فيه ونستبقي آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد، وقال الشهاب الخفاجي: في هذا دليل على اتخاذ المساجد على قبور الصالحين، أما رأي جمهور الفقهاء وكبار العلماء أنه يجوز اتخاذ المساجد على قبور الصالحين بينما لا يجوز نقل رفات الأولياء والصالحين إلى المساجد بعد تشييدها وإقامتها.

الدليل الثاني من السنة النبوية: حديث أبي بصير ﵁ الذي رواه عبد الرزاق عن معمر وابن إسحاق في " السيرة " : أن أبا جندل بن سهيل ابن عمرو دفن أبا بصير ﵁ لما مات وبني على قبره مسجدًا و(سيف البحر يحده) وذلك في حضور ثلاثمائة من الصحابة.. وكان أبا جندل وأبا بصير من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام المخلصين وكان يكلفهم بأعمال الجهاد في سبيل الله ضد الكفرة والمشركين الغلاظ وهي أعمال تشبه الكوماندوز والفدائية، فلما دفن أبو بصير وبني على قبره مسجدًا وعلم به الرسول فلم يأمر بإخراج القبر من المسجد أو نبشه، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال:﴿**في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا**﴾ أخرجه البزار والطبراني في المعجم الكبير، وقد ثبت في الآثار أن سيدنا إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر ﵁ قد دفنا في الحجر من البيت الحرام وهذا ما ذكره وأثبته ابن إسحاق وابن جرير الطبري والسهيل ابن الجوزي وابن الأثير والذهبي وابن كثير في البداية والنهاية..

وقد أقر النبي ﷺ ذلك ولم يأمر ينبش هذه القبور وإخراجها من مسجد الخيف أو من المسجد الحرام.

الدليل الثالث من أفعال الصحابة: اختلف الصحابة في مكان دفن النبي ﷺ فقال منهم أن يدفن عند المنبر، وقال آخرون: يدفن بالبقيع فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:﴿**ما دفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه**﴾، فحفر له عند المنبر ولم ينكر ذلك الصحابة إلا أن أبا بكر عدل عن ذلك لما سمعه من رسول الله ﷺ فطبق قوله وتم دفنه حيث قبضت روحه الشريفة ﷺ فدفن في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها المتصلة بالمسجد الذي يصلي فيه المسلمون وهذا هو نفس وضع المساجد المتصلة بحجرات أضرحة الأولياء والصالحين في زماننا.. ودعوى الخصوصية في ذلك للنبي ﷺ غير صحيحة لأنها دعوى لا دليل عليها بل هي باطلة قطعًا بدفن سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب في هذه الحجرة التي كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تعيش فيها وتصلي فيها صلواتها المفروضة والمندوبة، فكان ذلك إجماعًا من الصحابة رضي الله عنهم بجوازه.

حديث السيدة عائشة في الصحيحين: أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال:﴿**لعن اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**﴾، أي السجود والتعظيم لغير الله سبحانه وتعالى.. قال الإمام البيضاوي كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيمًا بشأنهم ويجعلونها قبلة، ويتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثانًا لعنهم الله ومنع المسلمين من مثل ذلك ونهاهم عن مثل ذلك، أما من اتخذ

مسجدًا بجوار ضريح ولي صالح أو صلى في مقبرته وقصد به الاستظهار بروحه ووصول أثر من آثار عبادته إليه لا التعظيم له والتوجه إليه فلا حرج عليه، فالنهي عن الصلاة في المقابر مختص بالمنبوشة لما فيها من النجاسة.

العلماء.. وماذا قال عنهم الرسول؟:

عن أبي الدر داء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :﴿**العلماء ورثة الأنبياء**﴾ حديث حسن أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد في مسنده وابن جنان في صحيحه. ومعنى الحديث أن العلماء هم ورثة الأنبياء في العلم والدعوة إلى الله وجهاد في الناس حتى تقوم الساعة.. فالأنبياء لا يورثون مالا أو عقارا أو متاعا وإنما يورثون علم الدين عن الكتب السماوية والشرائع المختلفة والفقه والمعاملات بين الناس في الدنيا والدين والبعث والحساب والجنة والنار وسنة المصطفى العدنان ﷺ وأما في الحديث الصحيح بالبخاري ومسلم فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام:﴿**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**﴾.

وعن عمرو بن كثير عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ :﴿**من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة**﴾، سنن الدارمي.

وعن قيس بن كثير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:﴿**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء**﴾.

واعلم يا أخي المسلم ويا أختي المسلمة بأن الله عز وجل يؤتي الحكمة لمن يشاء وهو علم الدين والدنيا، فينزل العلم على العلماء بقدر، وتختلف مقادير العلم بينهم، فهم لا يتشابهون بمعايير واحدة في النورانية ولكنه رزق قسمه الله فيما بينهم.

أما ما قاله رب العزة تبارك وتعالى عن العلم والعالم في كتابه العزيز: { وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾} [البقرة: ٣١ - ٣٢]، وقوله تعالى:{ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾} [العلق: ١ - ٥]، ويقول:{يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ} [المجادلة: ١١].. فعلماء الدين الذين يبحثون في علوم العبادة لله في سماء النور وأرض التقوى وبحر الهدى كي يبلغوا بها الناس، وكذلك الذين يبحثون في علوم الدنيا لخدمة البشر فكل منهم يرفع الله درجاته بقدر اجتهاده وبحثه في العلم.. ويقول الحبيب المحبوب والصادق المصدوق عاشق الإسلام ومن المسلمين معشوق في حديث صحيح بالبخاري ومسلم عن العلم والعلماء:﴿**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا من صدور العلماء ، وإنما يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يجد الناس عالمًا واحدًا لجئوا إلى رؤساء جهالاً لهم يسألونهم فيفتوهم بغير علم، فقد ضلوا وأضلوا**﴾.

ومن ذلك الحديث يبين أهمية ومكانة وقدر العلماء.

ونختتم الحديث عن العلم والعلماء ومكانتهم عند الله تبارك وتعالى بسورة الرحمن، فقال تعالى: {ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤} [الرحمن: ١ - ٤]، وقوله تعالى عن خشية العلماء له:{إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ} [فاطر: ٢٨].

اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد.. اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد.. اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد.. اللهم إني قد بلغت يا رسول فاشهد.

* * *

مراجع الكتاب

- القرآن الكريم.
- السيرة الذاتية العطرة للرسول عليه الصلاة والسلام.
- كتاب النبوات لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية.
- مؤلفات وخواطر إمام الدعاة الشيخ متولي الشعراوي.
- صحاح البخاري ومسلم والترمذي وداود.
- أفعال وأقوال الصحابة كما جاء في كتب السيرة النبوية.
- الأقوال المأثورة.
- كتاب هذا إسلامنا وهذا نبينا المفترى عليه للمؤلف.

* * *

نبذة عن المؤلف

- خريج كلية الحقوق جامعة المنصورة.. محامى بالنقض ومدير عام شؤون قانونية سابق.. وحاليا بالمعاش متفرغا من أجل الدعوة الإسلامية والدفاع عن الإسلام والمسلمين.
- درس الشريعة الإسلامية والسيرة النبوية العطرة من الكتب الصادرة عن الأزهر الشريف.
- مطالعته. جميع الكتب المؤلفة والنابعة عن خواطر الشيخ متولي الشعراوي.
- ارتبط بسماع الأحاديث النبوية الشريفة التي يلقيها د. أحمد عمر هاشم صباح كل يوم بمحطة إذاعة القرآن الكريم وله معه رؤية صالحة وكفى.
- جاهد في الدعوة بإلقاء الخطب يوم الجمعة بالمساجد الأهلية، وآثر التفرغ للكتابة وتسجيل الأشرطة بالخطب ذات الموضوعات الهامة والتي نحتاج إلى معرفتها، ثم الانتقال بالعلم الديني من الخصوصية إلى العامة ثم إلى العالمية كما حدث للكتاب " هذا إسلامنا وهذا نبينا المفترى عليه " والسيرة الذاتية عن الرسول عليه الصلاة والسلام تسجيل اكتفاء ذاتي على الكاسيت.
- صدر للمؤلف كتاب الدعاء المستجاب، أبو بكر الصديق

وجهاد في الدعوة C.D، انهضي يا مصر C.D. وكتاب هذا إسلامنا وهذا نبينا المفترى عليه.

- يعتمد على الله وحده في نشاطه بالدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه وعن المسلمين بالدليل القاطع والبرهان الساطع من القرآن والسنة وأعمال العقل الصحيح والفكر الصريح والفقه المريح.
- العمل بالدعوة إلى الله ورسوله بالإخلاص والصدق والجرأة والتواضع والتمسك بالأدب والخلق الإسلامي وعدم الانتماء إلى حزب أو جماعة أو تنظيم وما ينفقه على الدعوة هو من الله دون النظر إلى الشهرة والمدح والمكانة أو التربح وكسب العيش فهو يتاجر مع الله بالأجر والثواب.
- يؤمن يقينا ودون أدنى شك وإن تقول المنبطحين على الأرض والمتفزلكين والمتفيقهين بأنه موجه ومكلف من قبل الله عز وجل وليس عن هواية أو صدفة لما ثبت من أدلة وبراهين وعلامات، نورانية وأن الله خلقه في كتابه الأزلي أم الكتاب وقبل أن تدخل الروح الجسد ليعده لهذا النشاط الدعوى بمدد علمه وتوجيهه وتوفيقه.. ويقول المصطفى ﷺ في حديثه الشريف:﴿العلماء ورثة الأنبياء﴾ فيجب أن نكون أمناء على هذا الميراث.

لا إله إلا الله محمد رسول الله

فهرست الموضوع

* * *